

مركز الافلاك للاستشارات التربوية والتعليمية

الإصدار الأول

من نبأ موسى وفرعون

فضيلة الشيخ

د.أحمد بن عبدالله العماري

عميد كلية القرآن بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سابقا



علم ينتفع به
0125562986 | yyy.01@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

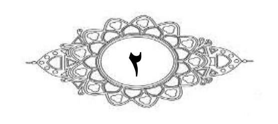
تأملات قرآنيّة

(من نبإ موسى وفرعون)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا بيّ بعده .
أمّا بعــد:

فإن القرآن الكريم كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على سيد المرسلين، فيه خبر من قبلنا، ونبأ من بعدنا، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وكانت نهايته الخذلان والخسران.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (القصص: ٦٨ – ٧٠)

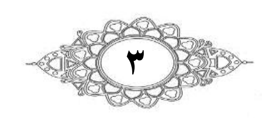


لقد أمرنا الله تعالى بتلاوة كتابه وتدبره وفهمه والتفكر فيه، لما لذلك من الآثار في النفس البشرية، من الاستقامة على الصراط المستقيم، والابتعاد عن السوء، أو الأمر به، ولئلا تبقى مترددة فيما تقدم عليه من فعل الخيرات، والبعد عن المنكرات، حتى تكون في حالة اطمئنان، ويقين وخضوع، وخشوع لمن خلق فسوى، وقدر فهدى.

وإن الله تعالى لما خلق الخلق لم يتركهم هملاً ظالين، بل بعث فيهم رسلاً منهم مبشرين ومنذرين، لكي يحققوا الغاية والحكمة من خلقهم، ويحذروهم من اتباع الهوى، والظلم و البغي في الأرض بغير الحق، وقد قام الرسل- عليهم الصلاة والسلام- بما كلّفوا به خير قيام، لكن الناس انقسموا نحوهم قسمين:

قسم اتبعوهم ولزموا هديهم، وساروا على الطريق المستقيم خلفهم، وقسم آخر تنكب السبيل، وحاد عن الهدى، وظل الطريق، وكتب الله عليه الشقاوة في الدارين، عدلاً منه وحكمة.

ومن أولئك الذين كتب الله عليه الشقاء طاغية زمانه، فرعون وهامان، وجنودهما، إنهم كانوا خاطئين.



وإنّ قصة نبي الله موسى -عليه السلام- مع طاغية زمانه فرعون، قد عرضت في القرآن الكريم في مواضع متعددة، بأساليب متنوعة، فيها من الدروس والعبر، والعظات الشئ الكثير .

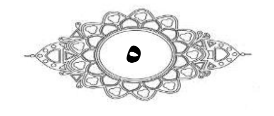
وإن عرضها على النفوس لأمر مهم، من بداية الاستضعاف حتى التمكين، ومعرفة ما بين ذلك من أحوال الطرفين المتحاورين، المتجاورين المتباعدين، المختلفين في الرأي والرؤية، والهدف والغاية، والوسيلة والأسلوب، حتى يطمئن أهل الاستضعاف في الأرض- من أهل الخير والصلاح-، أن العاقبة لعباد الله المتقين،وأن الله- سبحانه- سيمنُّ عليهم، إذا اخذوا بالأسباب الشرعية، من الصبر على ما يلاقون في الطريق، من المعاناة والعقبات، ومن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ (الحج: ٤١)

لقد وعدهم الله على ذلك بالاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، كما قال تعالى﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النور: ٥٥)

ولكي يعلموا أن التمكين في الأرض، لا يأتي إلاّ بعد مفاوز طويلة تقطع في الطريق، يواجهون من خلالها عقبات، ومصائب متعددة ومتنوعة.

كما أن عرض هذه السيرة –سيرة نبي الله موسى –عليه السلام– مع فرعون طاغية عصره– فيها دعوة لأولئك القوم الذين تكبروا في الأرض بغير حق، وطغوا وتجبروا واستكبروا، وسعوا في الأرض بالفساد، لكي يتفكروا في مصيرهم وعاقبته، فإن أخاهم فرعون ادعى الربوبية والألوهيّة،﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النازعات: ٢٤)

وقال﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ (القصص: ٣٨).



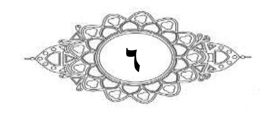
وتهدد قومه أن يتخذوا إلها سواه، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فما استطاع أن يكف عن فمه شربة من الماء،وفي ذلك بيان لضعفه، واحتقاره، وهوانه على الله- تعالى-.

فعلى الطغاة الظالمين في كل عصر ومصر، أن يراجعوا حساباتهم، ويُعملوا عقولهم، التي وهبهم الله تعالى، ويُنقذوا أنفسهم من النار، قبل أن يحق عليهم القول فلا يستطيعون لأنفسهم حولاً ولا قوةً، والعاقل من اعتبر واتعظ، ونهى النفس عن الهوى.

وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ (ق: ٣٧).

والقائل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ (يوسف: ١١١).

ولما قرأت سورة القصص ذات يوم، تداعت لدي خواطر وتأملات، فأحببت أن أسطر بقلمي ما فتح الله عليّ به من سيرة

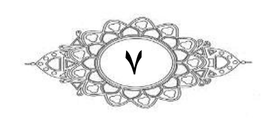


نبي الله موسى -عليه السلام- مع ذلك العدو المتكبر "فرعون" عليه من الله- تعالى- ما يستحق. تذكرة وعبرة ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

١ - واقع الناس قبل ميلاد موسى -عليه السلام-.

كان في مصر فريقان من الناس، فريق يُسمّون "بنواسرائيل" ومنهم موسى- عليه السلام-، وفريق آخر يُسمّون "القبط" ومنهم فرعون الطاغية.

وكان بنو اسرائيل مستضعفين من قبل القبط، حيث كانوا يستخدمونهم في أمور الحياة كلها، استخداماً فيه امتهان واستذلال، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، فقد قال بنو اسرائيل لموسى -عليه السلام- ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ (الأعراف: ١٢٩)



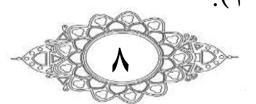
فقولهم ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ دال على عظم ما كانوا يلاقون من الفريق الآخر، وهم القبط، لكن موسى -عليه السلام- بشرهم بهلاك عدوهم، وأن العاقبة لهم.

يقول ابن كثير- رحمه الله تعالى:" وعند أهل الكتاب أن بني اسرائيل كانوا يسخّرون في ضرب اللَّبن، وكانوا مما حملوا من التكاليف الفرعونيّة أنهم لا يساعدون على شئ مما يحتاجون إليه فيه، بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه وتبنه وماءه، ويطلب منهم كل يوم قسط معين،إن لم يفعلوه وإلاّ ضربوا وأهينوا غاية الإهانة، وأوذوا غاية الأذية"[1].

ولقد ذكر الله تعالى بعض ذلك الأذى الذي كان يوقعه فرعون على بني اسرائيل من التفرقة والاستضعاف، وقتل الأبناء، واستحياء النساء، في كتابه العزيز.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾ (القصص: ٤)

١ - البداية والنهاية(١/ ٢٦٣).



وقدجاء في حديث" الفتون[1]" ما يفسر الدوافع التي دفعت فرعون وقومه الأ قباط، الى التنكيل ببني اسرائيل .

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما- لسعيد بن جبير لما سأله عن الفتون الواردة في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (طه: ٤٠).

فقال ابن عباس: (تذكّر فرعون وجلساؤه ماكان الله وعد ابراهيم -عليه السلام- أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً. فقال بعضهم : إن بني اسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه ، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعدُ ابراهيم.فقال فرعون :فكيف ترون ؟ فأتمروا وأجمعوا أمرهم، على أن يبعث رجالاً، معهم الشفار، يطوفون في بني اسرائيل، فلا

---

١ - حديث الفتون، حديث طويل رواه النسائي في السنن الكبرى، والطبري في تفسيره(١٦/ ١٢٥-١٢٧) وابن أبي حاتم في تفسيره. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور(٤/ ٢٩٦-٣٠١) وذكره ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة طه.

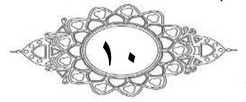
يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني اسرائيل يموتون بآجالهم،والصغار يذبحون، قالوا توشكون أن تفنوا بني اسرائيل فتصيروا الى أن تباشروا من الأعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاماً كل ذكر فتقل أبناؤهم، ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً ، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم يكثرون بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن تفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم ، فأجمعوا أمرهم على ذلك، فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان ، فولدته علا نية آمنة، فلما كان من قا بل حملت بموسى –عليه السلام–فوقع في قلبها الهم والحزن"[1]. وفي هذا الجو المحموم ولد موسى –عليه السلا م– .

٢ –(ميلاد موسى –عليه السلام –)

ولد موسى– عليه السلام– في جوء مملوء بالرعب والخوف والقتل والتشريد.

---

١ – البداية والتهاية (١/ ٣٠٠)



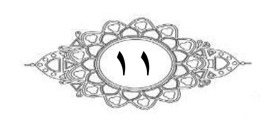
ولد في العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر من قبل فرعون الطاغية وقومه الأقباط.

ولد موسى-عليه السلام- في طائفة مستضعفة كل الاستضعاف متفرقة مشتتة يسومهم فرعون وقومه سوء العذاب، يذبح أبناءهم، ويستحي نساءهم.

إنّ البلاء يقع على الفرد والجماعة، ويتفاوتون في درجاته، لكن الذي وقع على بني اسرائيل كان من أعظم البلاء، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (البقرة: ٤٩).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ (الأعراف: ١٤١)

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ



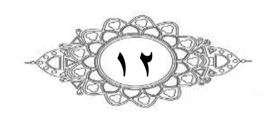
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ (إبراهيم: ٦)

ولد موسى- عليه السلام- في بيت امرأة لا تملك حولاً ولا قوةً، قلبها يرجف ويتقطع أساً وحسرةً على ولدها الرضيع، أين تخفيه من فرعون وزبانيته؟ أين تذهب به في الأرض وهي امرأة مستضعفة؟.

ولد موسى- عليه السلام- وليس له أسرة أو قوم يحمونه من فرعون وجنوده.

ولد موسى-عليه السلام- وهو ضعيف كل الضعف، لا يعرف أباً ولا أمّاً ولا أختاً ولا أخاً، ولا قريباً ولا بعيداً، ولا يميناً ولا شمالاً، ولا أكلاً ولا شرباً، وطاغوت عصره يتهدده بالذبح والهلاك.

سبحان الله فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية، يتملكه الخوف، والرعب، والخور، من طفل رضيع لا يدري ما الحياة؟ مجرد من كل قوة وحيلة، إلاّ من قوة فاطر السموات والأرض، الذي لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، الواحد القهار، الملك الجبار، الكبير المتعال، السميع البصير، العزيز الحكيم، اللطيف

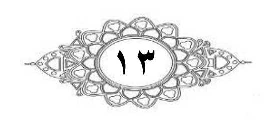


الخبير، الرحمن الرحيم، الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، مدبر الأمور ومصرفها، بيده مقاليد كل شيءٍ، وهو على كل شيءٍ قدير،حفظ عبده ورعاه وهو في بطن أمه، وهداه- بعد خروجه إلى الكون- النجدين، وساق له رزقه وهو لا يشعر، وهيأ له من يرعاه، ويدافع عنه، ويتولى شؤونه على مرأى ومسمع من فرعون وجنوده،وهم لا يشعرون، وتتجلى بعض مظاهر تلك الرعاية لموسى- عليه السلام- في عدة أمور:

أولاً:إلهام أمه إذا خافت عليه من العدوان أن تلقيه في اليم حتى لا يقع في يد الظلمة- فرعون وجنوده-.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ (القصص: ٧)

ثانياً: هيأ الله له آل فرعون يلتقطونه من اليم، وينقذونه من الغرق، وهم أعداؤه المتربصون به الخائفون منه العازمون على قتله والتخلص منه.



قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾(القصص: ٨)

ثالثاً: قذف الله سبحانه في قلب زوجة فرعون الطاغية حبّ ذلك الطفل الرضيع، فوقفت سداً منيعاً بحبها الحاني على ذلك الرضيع الغريب الضعيف، ضد القوة والقسوة والغلظة من فرعون وجنده تجاه موسى- عليه السلام- فاستوهبته من فرعون ليكون قرة عين لها وله، فوهبها إياه مع عدم رضاه بذلك.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (القصص: ٩)

فرفض"فرعون" هذا العرض من امرأته، زاعما أنه ليس بحاجة إليه، ولله-تعالى- الحكمة البالغة.

وقد جاء في حديث "الفتون" أن امرأة فرعون أرسلت إلى من حولها من النساء من أجل أن تقوم بإرضاعه فلم تجد حتى جاءت

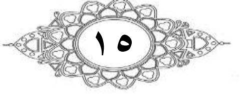
أخته بعد أن أرسلتها أمها لكي تتحسس أخبار موسى فلما رأته دلتهم على من يرضعه[1].

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾ [القصص: ١١ – ١٢]

رابعاً: حرّم الله تعالى على موسى -عليه السلام- جميع المراضع سوى أمه، لحكم عظيمة، ومنها:

١ – إرجاعه إلى أمه كي تقر عينها، ويذهب عنها الحزن، ولتعلم أن وعد الله حق. كما قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [القصص: ١٣]

١ – انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٠١).



٢- تتجلى رحمة الله تعالى ولطفه بموسى وأمه الولهانة المترقبة لأخباره، وحسن تدبيره، حيث أنقذ ذلك الرضيع من أيدي أعدائه، وهو في قبضتهم، وأسكن روعها، وأقرّ عينها برؤية ابنها.

٣- إن المخلوق مهما تكبر وتجبر في هذه الحياة، وادعى أن بيده كل شئ، فإنه لا يستطيع أن يجلب لنفسه خيراً، أو يدفع عنها ضراً، فمن باب أولى أن لا يضر غيره، أو ينفعه.

٤- إن في هذه القصة العجيبة ما يفيد أن من توكل على الله حق التوكل كفاه، وهذا واضح من حال أم موسى عندما استسلمت لأمرالله، وقذفت بابنها في اليم، وتوكلت على الله في حفظه ورعايته كفاها سبحانه في ذلك.

٥- ومن ذلك أنه لا يمكن يحدث شئ في هذا الكون إلاّ بعد إرادة الله له سواء كان خيراً أو شراً.

٣ -(موقف أم موسى من الحدث والقلق على ابنها)

يعجز اللسان عن التعبير، والقلم عن الكتابة، في وصف حال تلك الأم الحنون، التي أصيبت بالذهول في تفكيرها، والخرس في لسانها، والحزن في قلبها، والخوف والرجفان في نفسها، على فلذة كبدها، على رضيع لا حول له ولا قوة، أمام عدو طغى وتكبر وتجبر، فأصبح لا يرى في الوجود إلاّ هو، فالأمر أمره، والنهي نهيه،-كما يظن ويزعم- وأصدر أمره الظالم، بقتل أبناء بني اسرائيل حتى يتخلص منهم، خوفاً على ملكه الزائل، ونفسه الحقيرة، فماذا ترى سيكون موقف تلك الأم الودود، المتخفية بابنها المولود، وهي في حالة من الذعر والقلق والوجل الشديد؟، لكن الله سبحانه ألهمها الثبات في مواقفها، وربط على قلبها يوم كادت تبدي به، وجعل نفسها مطمئنة وواثقة بوعد الله لها، وأرشدها إلى الطريق الأمثل في التعامل مع الحدث العظيم، حيث أمرها بإرضاعه، فإذا خافت عليه من هجمة العدو عليه أمرها أن تقذفه في اليم، وأن تكل أمره إلى الله، وأن تضرب بالخوف والحزن جانباً،

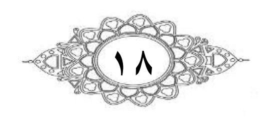
فهو في رعاية خالقه ورازقه ومحييه ومميته،ومع ذلك بشرها بأمرين عظيمين:

أحدهما: قريب! وهو أنه سيرجع إليها لكي تقر عينها، ويذهب حزنها، ويهدأ روعها، وتقوم بإرضاعه وكفالته ولها على ذلك أجر.

وثانيهما: بعيد! وهو أنه سيكون من المرسلين؟!

إنه لأمر عجيب! كيف تصدق أمه بهذا الخبر العظيم، وهي تعلم علم اليقين أن ابنها قد التقمه النهر، وغار في ظلماته، لا يستطيع النجاة من غمراته؟. وأبعد من ذلك كيف تصدق بخبر أنه سيكون من المرسلين، وبينه وبين زمن التكليف بالرسالة زمن بعيد؟. نعم تصدق النفس المؤمنة المطمئنة الواثقة بنصر الله لها أنه سينجز لها ما وعدها إيّاه، فإن الله لا يُخلف الميعاد.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾(القصص: ٧)



وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص: ١٠ – ١٣)

❊يقول سيد قطب- رحمه الله- (وهاهي ذي أمه حائرة به ، خائفة عليه ، تخشى أن يصل نبأه إلى الجلا دين،وترجف أن تتناول عنقه السكين ،ها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة ،عاجزة عن حمايته ، عا جزة عن إخفائه ،عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه،عاجزة عن تلقينه حيلة أووسيلة، هاهي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة).

(يالله!ياللقدرة !يا أم موسى أرضعيه ، فإذا خفت عليه وهو في حضنك . وهو في رعايتك .إذا خفت عليه وفي فمه ثدييك ، وهو تحت عينيك . إذا خفت عليه (فألقيه في اليم) !!.

(وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ) إنه هنا في اليم في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها ، اليد التي لاخوف معها ، اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها ، اليد التي تجعل النار برداً وسلا ماً وتجعل البحر ملجأ ومناماً ،اليد التي لا يجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولاجبابرة الأ رض جميعاً أن يدنوا من حماها الآمن العزيز الجناب. (إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ) فلا خوف على حياته ،ولا حزن على بعده(وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ) وتلك بشارة الغد ،ووعدالله أصدق القائلين .

هذا هو المشهد الأول في القصة. مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح ،وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحروق برداً وسلا ماً ، ولا يذكر السياق كيف تلقته أم موسى ، ولا كيف نفذته ،إنما يسدل الستار عليها ليرفعه [1]).

(لقد سمعت الإيحاء ، وألقت بطفلها إلى الماء ، ولكن أين هو ياترى، وماذا فعلت به الأمواج ؟ ولعلها سألت نفسها كيف؟كيف

١ - في ظلال القرآن.(٥/ ٢٦٧٨-٢٦٧٩)

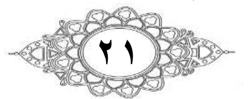
أمنت على فلذة كبدها أن تقذف به في اليم؟كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أمّ ؟كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة ؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب ؟

والتعبير القرأني يصورلنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية (فَارِغًا) لاعقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أوتصريف ! (إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ) وتذيع أمرها في الناس وتهتف كالمجنونة: أنا ضيعته ،أناأضعت طفلي ،أناألقيت به في اليم اتباعا لهاتف غريب .!

(لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا) وشددناعليه وثبتناها،وأمسكنا بها من الهيام والشرود.(لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)المؤمنين بوعد الله الصابرين على إبتلا ئه ،السائرين على هداه [1]).

نعم إن عناية الله-تعالى- هي العناية الحقيقية، وإن رقابته هي الرقابة الحقة، وإن حفظه هو الحفظ الحقيقي، لقد تجلت رعاية الله تعالى ورقابته وحفظه لكليمه موسى-عليه السلام- في جميع أطوار حياته، من حين ولادته حتى نهايته. وكذلك غيره من إخوانه

١ - في ظلال القرآن.(٥/ ٢٦٨٠)



الرسل، وعباده الصالحين، فلله الحمد والشكر، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه.

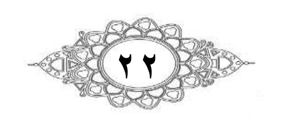
وإن عَرَضَ سير الأنبياء والمرسلين- الذين اختارهم الله -تعالى-، واصطفاهم من خلقه-، على الأسماع لهو أمر مهم ومطلوب، فهم القدوة الطيبة التي حملت المنهج الرباني، وطبقته في أنفسهم، ثم دعوا البشر إلى اعتناقه وتطبيقه، ولاقوا في سبيل ذلك من المتاعب والمشاق ما الله به عليم، ومع ذلك حفظهم الله تعالى، ومكنهم في الأرض، وصرف عنهم كيد عدوهم، وفي معرفة سيرهم خير زاد في الطريق إلى الله تعالى.

٤ - (موقف أخت موسى من الحدث والدور الذي قامت به)

إنّ النص القرآني يجمل موقف أخت موسى- عليه السلام- في أمرين:

الأول: كونها رأته من بعد، وتيقنت ذلك الأمر.

والثاني: مشورتها لآل فرعون بطريق الاستفهام، أنها تعرف من يكفله لهم ويقوم بإرضاعه بنصح وأمانة لكونه- عليه السلام- لم يتلق رضاعاً من أحد، ولم يلثم ثدياً بتدبير الله تعالى في ذلك.



قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾ (القصص: ١١ – ١٢)

وهذه طريقة القرآن في عرض المشاهد يجمل ولايفصل ، ولكن هذا الإجمال يرى فيه الناظر كأنما شاهد القصة أوالحدث- كاملة أومتكاملة، وهذا من بلاغة القرأن الكريم وإعجازه، لكن إذا أراد الإنسان أن يرى التفصيل في قصة أخت موسى من الحدث فإن لذلك عدة محاور:

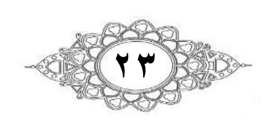
الأول : الأم وابنتها ومادار بينهما في شأن موسى – عليه السلام –.

الثاني : الدور الذي قامت به أخت موسى .

الثالث: الحوار الذي دار بين أخت موسى وآل فرعون .

الرابع : رجوعها إلى أمها بالبشارة العظيمة برجوع موسى – عليه السلام – إليهن .

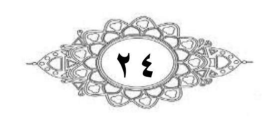
ولنبدأ بشيء من التفصيل لكل من هذه المحاور حتى تتبين لنا صورة المعاناة التي واجهت أم موسى وأخته في شأن موسى – عليه السلام –.



أماالمحور الأول :الذي يدور الحديث فيه حول ما دار بين أم موسى وابنتها في شأن موسى-عليه السلام- وكيف تبحثان عنه وتتعرفان عليه، وأين هو من أرض الله ،هل هو في قا ع النهر؟ أو على سطحه؟ بعد أن غرق وفقد الروح بسبب الغرق . أو هو في بطون حيتان النهر بعد أن أُلقي به في اليم؟ . أو هو على سطح الأرض بعد أن لفظه النهر وقذفه الموج إلى الشاطىء؟

وإذا كان الأمر كذلك فهل خروجه من النهر حياً أم ميتاً؟ وإذاكان حياً فما هي اليد التي وقعت عليه، وأخذته وحضنته؟ هل هي من شيعته؟ أم من عدوّه؟ وإذا كان من عدوّه فكيف الوصول إليه؟ وهل سينجو من البطش منهم؟ بسبب القرار الظالم الذي أصدره فرعون بذبح الأبناء في ذلك لعام، وإذا قدر أنّ أخته وقعت عينها عليه فكيف تصل إليه؟ وكيف تحاول أخذه والهرب به إلى أمها إذا عثرت عليه؟. إنّ الأسئلة حول هذا كثيرة وغزيرة ومثيرة ومحيرة؟!.

لقد سبق الحديث عن حال أم موسى، وما كابدته، وما تعانيه من خوف وقلق على ابنها الرضيع الذي ليس له حول ولا قوة ولا حيلة.



أمّا أخته فإنها تشارك أمها في المعاناة، وفي القلق والخوف على أخيها، ولكنها هي نفسها ضعيفة مسكينة مستضعفة في قوم فرعون وجنوده، شأنها شأن بنات ونساء بني اسرائيل المستضعفات في ذلك العصر من المفسدين الظالمين، ومع ذلك كله قامت بالدور المطلوب، فلله درها من امراة حرة كريمة، تغلّبت على المخاوف الداخلية في نفسها، والعلنية في واقعها، وتحايلت على قوم جبارين حتى أنقذت أخاها من بين أيديهم بعد توفيق الله تعالى وتأييده.

أمّا المحور الثاني: والذي يتضمن الدور الذي قامت به أخت موسى-عليه السلام- حيال البحث عن أخيها، بعد الحوار الذي دار بينها وبين أمها في البحث عن موسى-عليه السلام- وقالت أمها لها: ﴿قُصِّيهِ﴾ واستجابت اخته لأمر أمها، وقامت بالبحث عن أخيها لكي تطمئن عليه، وتعرف أين هو وفي أيّ مكان هو؟.

ولقد قامت بهذا الدور في خفية وحذر من فرعون وجنوده ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ولو شعروا أن هذه أخته وأنها تبحث عنه- والله أعلم- لما سلمت هي منهم، ولربما نفذوا فيها وفي أخيها حكم الإعدام، ولكن الله سلّم وله في ذلك حكم جليلة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

يقول سيد قطب- رحمه الله-" وذهبت أخته تقص أثره في حذر وخفية، وتتلمس خبره في الطرق والأسواق، فإذا بها تعرف أين ساقته القدرة التي ترعاه وتبصر به عن بعد في أيدي خدم فرعون يبحثون له عن ثدي للرضاع[١]".

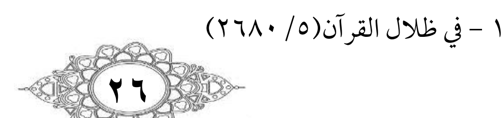
أما المحور الثالث:الذي يتضمن الحديث عن ما دار بين أخت موسى وآل فرعون، فإنها لما رأته في أيدي خدم آل فرعون وتيقنت من ذلك ظهر لها أمران:

الأول: كونه ممتنعاً عن الرضاع من أيِّ ظئرٍ تحاول القيام بإرضاعه.

والثاني: كون أولئك الخدم حريصون على إرضاعه ورعايته، ولقد تبنته زوجة فرعون بود وحنان، لكي يكون لها قرة عينٍ، وأن تتخذه ولدا لكي ينفعها، وكان ذلك بتوفيق الله تعالى وتقديره.

ولما نظرت أخته إلى حال أخيها وحالهم وهم في حيرة من أمره ودهشة، حيث لم يقبل الرضاع قالت لهم في استحياء وخوف ووجل من أن ينكشف حالها وحال أمها بطريق الاستفهام " هل

١ - في ظلال القرآن(٥/ ٢٦٨٠)



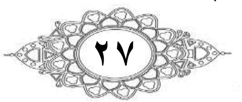
أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون"؟ فنكرت البيت الذي سيقوم بإرضاعه، ولم تكشف لهم عن حاله شيئا، مع أنها زكت أهل ذلك البيت لمعرفتها بذلك، وهذا من الفطنة بمكان بعد توفيق الله تعالى فما صدقوا بذلك حتى استجابوا لها، ولبّوا طلبها، وذهبت به إلى أمها في سرور داخلي غير مكشوف، وفي فرحة تغمرها برجوع أخيها معها إلى أمها. وقيل: إنهم أرسلوا إليها فقدمت إليهم على استحياء.

وورد في حديث الفتون أن أخته قالت لهم:"من الفرح حين أعياهم الظؤرات[1]، أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فقالوا: وما يدريك ما نصحهم؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك! فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه ورغبتهم في صهر الملك، ورجاء منفعة الملك، فأرسلوها فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها الخبر، فجاءت أمه فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريّاً، وانطلق البشير إلى امرأة فرعون[2]".

---

١ - جمع ظئر. والظئر: هي المرأة التي تقوم بالإرضاع.

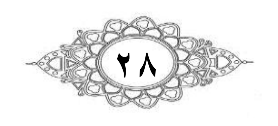
٢ - البداية والنهاية (١/ ٣٠١).



وأيّاً كان الأمر ذهبت به إلى أمها، أو أن أمها أتت إليه وأخذته وأرضعته فالعبرة باللقاء الذي تم بين الأم والأخت والابن الرضيع، بعد تلك المعاناة الشديدة من الذهول والخوف، والقلق من الأم والأخت على ذلك الطفل الرضيع.

ولله درك ياأخت موسى على ذلك الدور الذي قمت به في ذلك الجوء المخيف، والمجتمع الموبوء المحيط بك وبأمك وبأخيك، ذلك الدور الذي قلما يقوم به عظماء الرجال، فكيف بالنساء! وكم نحن بحاجة إلى تملي الدروس والعظات والعبر واستنباطها من خلال النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية، وكم نحن بحاحة إلى اللجوء إلى الله الذي بيده مقاليد الأمور كلها، والأخذ بالأسباب، والتوكل عليه، والصبر في الطريق بدون تردد ولا انهزام.

أما المحور الرابع: الذي يتضمن البشارة برجوع موسى -عليه السلام- إلى أمه الحائرة الخائفة الفارغة الذاهلة المتلمسة لأخباره

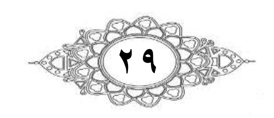


صباح مساء، وبعد تلك المعاناة عاد الرضيع الغائب إلى أمه سليماً معافىً محفوظاً بحفظ الله له، بعد تسخير أعدائه برعايته وكلاءته.

ما أعظم فرحتك يا أم موسى بموسى، هل الأمر حقيقة أم خيال؟ عيون تدمع من الفرح،وصدر يضمه من الفرح، وثغر يقبله من الفرح، وثدي يرضعه من الفرح، وقلب ينبض من الفرح، ونفس مطمئنة من الفرح، وأيدٍ ترعش من الفرح، وأرجل تميس من الفرح.

ما أرحمك يارب بعبادك! وما أحلمك يارب بعبادك! وما أكرمك يارب بعبادك! من دعاك أجبته، ومن استغفرك غفرت له، ومن سألك أعطيته،ومن استعاذك أعذته، ومن توكل عليك كفيته، ومن خاف منك أمنته، ومن استنصرك نصرته،ومن استجارك اجرته، ومن تقرب إليك شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليك ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاك يمشي أتيته هرولة.

لقد لجأت أم موسى إلى الله تعالى فربط الله على قلبها، وهدّأ من روعها، وكادت تبدي بخبرموسى لولا وعد الله لها سبحانه



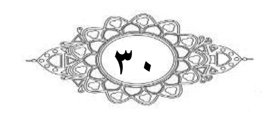
بأنه سيعيده إليها، وسيكون-زيادة على ذلك- من المرسلين.قال تعالى﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾(القصص:٧)

وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ (القصص:١٣)

٥ - (رحلة في النهر لرضيع في المهد)

يبرز للعيان عدة أسئلة لانجد لها جواباً، بل الجواب لها عناية الله ورعايته وتدبيره لحياة ذلك الطفل الرضيع، ومن تلك الأسئلة:

هل يعقل أن طفلاً رضيعاً يقتحم النهر ويعبره؟ مع أن النهر فيه من المخاوف ما الله به عليم، وياترى ما الذنب الذي ارتكبه ذلك الطفل الرضيع حتى يرمى به في اليّم العظيم؟ وهل كان هناك حرس يتلقونه إذا قذف به في النهر حتى ينقذوه من الغرق و الهلاك؟ وهل اليد التي قذفته مأمورة أوهو خطأ سقط منها، فما



استطاعت أن تلحق به وتسترجعه إليها؟ وهل يعقل أن أهله الذين يكفلونه هم له كارهون ويريدون التخلص منه؟ أم أن هناك وحياً من السماء يأمر بذلك فلابد من الاستجابة؟.

والجواب على ذلك كله يظهر لنا جليا في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (القصص: ٦٨ – ٧٠)

إن الله سبحانه خلق الجن والإنس لعبادته وحده دون من سواه، وهداهم النجدين، وأوضح لهم الطريقين بواسطة رسله الكرام، وقد بلّغوا الناس ماأنزل إليهم، وأول تكليف طلبوه منهم عبادة الله وحده، وعدم الاشراك به، وجعل سبحانه من سنته ابتلاء الناس بعضهم ببعض كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ الآية (محمد: ٤)

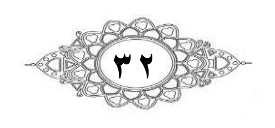
كما جعل من سنته التدافع فيما بينهم كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ (البقرة:٢٥١).

وإن من عدل الله وفضله ومنته أنه حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً. قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ (الكهف:٤٩). وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت: ٤٦).

وفي الحديث القدسي الصحيح:" ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"رواه مسلم.

وبعض خلق الله كتبت عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة، فيشقى به من كان تحت ولايته أو حوله، ومن أولئك "فرعون المثبور"ذلك الرجل الطاغية، الذي ادعى الربوبية، كما حكى الله عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النازعات:٢٤)

ووصفه الله بالطغيان وكثرة الفساد في الأرض،قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ



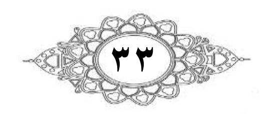
﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر: ١٠-١٤)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص: ٤)

ومن أعظم فساده ادعاؤه الربوبية والألوهية، ثم ذبحه لأبناء بني إسرائيل خوفاً على ملكه ونفسه منهم.

وقضى الله سبحانه أن يولد نبي الله موسى -عليه السلام- في العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر. فأصبحت أم موسى في حالة يرثى لها. كيف تخفي ولدها الرضيع عن زبانية فرعون، وهي معروفة لديهم مسبقاً أنها كانت حاملاً؟ كيف تغادر أرض الظالمين وليس لها حول ولا قوة؟ إذن هل تباشر وأد ولدها بيدها، وتدسه في التراب خير لها من أن تسلمه إلى قوم قست قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة؟!!.

لكن رعاية الله سبحانه تحيط به، وتحفظه من بين يديه، ومن خلفه، ومن فوقه، ومن تحته، ومن أمامه، ومن ورائه، فلا يصل إليه مكروه، فأوحى الله إلى أمه -وحي إلهام- أن ترضعه ولا تخاف ولا



تحزن، فإذا شعرت أن زبانية فرعون قادمون إليها فعليها أن ترسله بل تقذفه في اليم بدون تردد ولا خوف ولا وجل، وبشرها مع ذلك بعودته إليها، وأنه سيكون من المرسلين.

لكِ الله يا أم موسى اِرمي وداعتك الغالية في النهر، واستودعِي الله فيها، فإن الله لا تضيع الودائع عنده، وتوكلِي على الله فإنه حسبك وكافيك﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ (النساء:٦) ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ (النساء: ٨١).

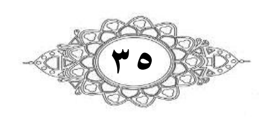
إنه مشهد يثير في النفس الدهشة والاستغراب والإعجاب، كيف طاوعتك يداك يا أم موسى وهي ترسل فلذة كبدك في اليم العظيم؟ وكيف تخلصت من حبك وحنانك وعطفك في تلك اللحظة الحرجة فقذفتيه في نهر لجيّ من فوقه موج من فوقه سحاب، تغرق فيه الأعلام العظام، وتضيع فيه الرواسي العظام؟ وكيف ملكتِ جأشكِ، وسلم لكِ عقلكِ، وأنتِ تنظرين إليه نظرة وداعٍ ليس بعدها لقاء ولا وئام، إلاّ أن يشاء الله رب العالمين؟! أما تخشين عليه من حيتان النهر تهجم عليه وتفترسه وتلتقمه، كما

ألتقمت أخاه من قبل يونس-عليه السلام-قال تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ (الصافات:١٤٢) .

كيف سلمت لكِ بقية جوارحكِ من العاهات والأمراض؟ مهلاً يا أم موسى، إن لله حكمة في ذلك كلّه، ويكفيك من ذلك ما تحملينه من الهمِّ والقلق والخوف والوجل على رضيعكِ المسكين.

وعبر الرضيع النهر يتقاذفه الموج من هنا وهناك، ويسوقه وهو في بطن ذلك التابوت في هدوء وسكون وفي راحة وطمأنينة قدرية، ليس له حيلة ولا بصيرة مما هو فيه، لاعقل يفكر به، ولا بصر ينظر به، ولا سمع يميّز به ما يسمع، ولا لسان يعبر به ويبين به عما في جوفه، ولا يد يبطش بها، ولا رجل يمشي عليها، كل هذه الجوارح مسلوب العمل بها، لكونه لا زال في المهد رضيعاً، لكن عناية الله ورعايته ورقابته تحيط به وتحفظه من كلِّ شئ، وصدق الله القائل: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾ (الأنعام:٦٧) ولكن الناس لا يعلمون.

وقال تعالى: (﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي

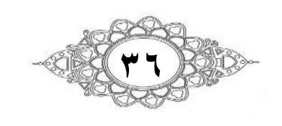


ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ (سورة الأنعام: ٥٩-٦٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ (الانفطار: ١٠-١١).

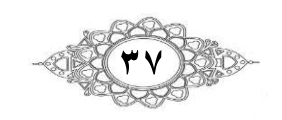
ما أعظم المنن والنعم التي امتن الله بها وأنعم بها على خلقه، لا يستطيع الإنسان عدها، بل لا يستطيع شكرها، وصدق الله القائل: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ (إبراهيم: ٣٤).

وقال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ (النحل: ١٨).



إن المخاوف البحرية أيّاً كانت سواء كانت أمواجاً، أو غرقاً، أو حيوانات من حيوانات البحر، أوظلمات، أو غير ذلك مما يتصوره الإنسان على مثل ذلك الرضيع الصغير الضعيف أو غيره، ترجع أمناً وطمأنينة وهدوءاً وسكينة بتدبير الله تعالى لها، فهو الخالق المصرف الذي بيده ملكوت كل شئ، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، وقد ساقته عناية الله بلطف وهدوء، وهو يسبح في تابوته على سطح اليم إلى شاطئ قريب من بيت فرعون وجنوده، فاستقبلنه الجواري اللاتي يخدمن زوجة فرعون، وحملن التابوت بما فيه دون أن يكشفنه إلى سيدتهنّ، فلما كشفن عنه هيأ الله له في قلب امرأة فرعون المحبة والإجلال،- ليقضي الله أمراً كان مفعولاً- ولكن كيف تتعامل مع زوجها الظالم القاضي بذبح كل مولود ذكر في ذلك العام،هل تخفيه عن العيون وتتستر عليه؟ إنها لا تسطيع ذلك لأن أمره قد ذاع وانتشر في أوساط الجند والحاشية.

إن بيوت الجبابرة قد يوجد فيها الاختراق،إمّا من داخلها أومن خارجها، وإذا قوي التوكل على الله لدى الإنسان قويت



عزيمته،وإذا أخذ بالأسباب الشرعية في الوصول إلى الأهداف فإن الله تعالى يسهل له الطريق ويلين له القلوب ويجعل الله له مع العسر يسراً، انظر إلى ما هيأه الله لهذا الرضيع وهو في المهد، لا يعرف توكلاً، وليس له عزيمة ولا قدرة، ولا يعرف وسيلة ولا هدفاً ولا غايةً، وهو في قبضة من يريد ذبحه والتخلص منه، وليس لديه أيّ تردد في ذلك وهو داخل داره وبين جنوده وغلمانه، ومع ذلك هيأ الله له من يعطف عليه ويدافع عنه، ويجادل فرعون في أمره وهو لا يشعر بذلك، فأصبح عدواً وحزناً لفرعون في داخل داره، ومع ذلك صرف الله عنه بطش فرعون وظلمه وطغيانه، ومع إصرار زوجة فرعون ودفاعها عن الاعتداء على ذلك الطفل، استجاب فرعون لها، مع تخوفه منه وكرهه لذلك، واستنفرت خدمها للعناية بموسى- عليه السلام- فكلّفتهم البحث عن المرضعات لكي يقمن بإرضاعه وإطعامه، فحضرن وحاولن أن يرضعنه، لكنه امتنع عن ذلك، فلم يلقم ثديا على الإطلاق، لأن الله تعالى حرّم ذلك عليه لحكمة يريدها سبحانه. قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ

ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ (القصص:١٢). وقد بيّن لنا الله شيئاً من تلك الحكمة، قد سبق ذكر بعضها.

ورجع موسى إلى الحضن الذي فارقه، وإلى اليد التي تلقته وحملته، وإلى العين التي دمعت عليه وودعته، وإلى الثغر الذي قبّله ولثمه، ثم فارقه ثم عاد إليه مرة ثانية، كيف فرحتك يا أم موسى برضيعك البحّار، وصغيرك الغائب،؟.

لقد عاد رجفان قلبك سكوناً وطمأنينة، وقلق النفس هدوءاً، ودموع الحزن دموع فرح وغبطة، وظلام البيت نوراً وضياءً، وثرثرة الكلام تسبيحاً وتذكيراً، والحزن فرحاً وسروراً، والخوف أمناً ويقيناً، فقري عيناً يا أم موسى بطفلك الرضيع الغائب، وعيشي أنت وإياه على فراش واحد، نسمات نفسه تقبل صدرك،ولمسات يديه الصغيرتين تداعب ثديك، وجرس صوته الصغير يقرع أسماعك،وزغزغة بصره تغازل بصرك،وحركات رجليه الضعيفتين تضرب حواشيك فأنت في سرور وفرح وهدوء

وغبطة،فالحمدلله الذي ردالغائب إلى أهله، وربط على جأشك وقلبك حتى عاد إليك من أفزعك فراقه،لك الحمد يارب حتى ترضى،ولك الحمد بعد الرضى.

٦ - (نشأة موسى في بيت عدوه"فرعون").

قبل أن نتعرف على نشأة ذلك الطفل الرضيع، في بيت طاغية العصر-فرعون- اللعين، نتعرف على شيء من سيرة وسلوك فرعون الطاغية الجبار الذي تربى الطفل الرضيع في بيته على غير محبة منه ولا ود، من خلال النصوص القرآنية.

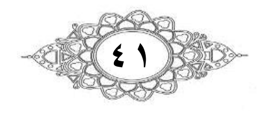
❋إن فرعون ادعى لنفسه الألوهية وأعلن ذلك في الملأ. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (القصص:٣٨)

❋ وتوعد من اتخذ غيره الهاً بالسجن والتنكيل. قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾(الشعراء:٢٩)

❋وادعى لنفسه الربوبية. بعد ما دعاه موسى إلى الهدى، فأعرض عن ذلك، تكبراً وإدباراً وتكذيباً.

قال تعالى﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾(النازعات:٢١-٢٤)

❋وإن فرعون علا في الأرض وأفسد فيها شر فساد.



قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص: ٤).

وقال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (يونس: ٨٣).

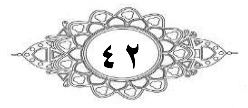
*وتنكر فرعون لرب العالمين، ويسألُ موسى عن رب العالمين، سؤال استنكار واستكبار. قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الشعراء: ٢٣)

*ولقد طغى فرعون كل الطغيان، فأضل قومه وغوى، فقال الله تعالى لنبيه موسى- عليه السلام- ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾﴾ (طه: ٢٤)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾﴾ (الفجر: ١١)

وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾﴾ (طه: ٧٩)

*وأعلن فرعون لقومه أن الرأي رأيه، ولا رأي لأحد سواه، وأنه يرشدهم إلى أهدى سبيل، وأقوم طريق.



قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾(غافر:٢٩)

❋وأوهم فرعو قومه أنه سيصل إلى إله موسى ويسأله هل هو مرسل منه أم لا ؟ وأمر وزيره الضال أن يبني له صرحاً لعله يبلغ الأسباب.

قال تعالى: ﴿ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾(غافر:٣٧)

❋وعرضت عليه الآيات البينات، والبراهين الصادقة، لطريق الخير والهداية، فكذب بها، وأبى أن ينقاد لها. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾(طه:٥٦)

❋وادّعى أن له ملك مصر،وأنه أفضل من نبي الله موسى - عليه السلام -.



قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ (الزخرف:٥١-٥٢)

هذه نبذة يسيرة، من خلال النصوص القرآنية، بينت لنا ووضحت شيئا من سيرة فرعون الطاغية،ومواقفه المخزية، نعوذ بالله من حاله، وحال أصحابه، وحال أمثاله في كل عصر ومصر،وفي ذلك غنية ومعتبر لمن أراد أن ينظر ويعتبر.

أما غلامنا الهادي،والذي لازال في المهد، فجرت قدرة الله ومشيئته، أن يلتقطه آل فرعون من اليم الذي أرسل فيه خوفاً عليه، وهرباً من فرعون وآله، والذي أصدر بياناً يقضي بقتل ابناء بني اسرائيل ويستحي نساءهم، وقدر الله وماشاء فعل، أن يسوق موسى- عليه السلام- وهو لازال في مهده إلى بيت فرعون، ليكون عدواً لهم وحزناً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ومن ولَهِ أمه به وخوفها عليه، بعد أن جرى به اليم إلى ما لا تعلم، أرسلت أخته تتحسس أخباره، وتنظر يميناً وشمالاً، لعل بصرها يقع عليه، أو يطرق سمعها شئ من أخباره، وبالفعل بصرت به عن جنب وهم لايشعرون.

لقد وقع بصرها عليه خلسة، دون أن يشعر به الخدم والجواري وغيرهم، ورأت الحيرة التي هم فيها لكونه لم يمل إلى أي ثدي فيلقمه، ورأت تحرق آسية على موسى مما هو فيه من الصيام عن الطعام والشراب، فاستغلت الموقف في استحياء وخوف ووجل، من أن ينكشف أمرها، وأمر أمها، وأمر أخيها. فقالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ (القصص:١٢)

وقد استغرب القوم، كيف يكونون له ناصحين وهم لا يعرفونه، وكان الاستغراب في مكانه. فلما جلبوه إلى أمه وضمته إليها، لثم ثديها، وارتوى من لبنها، ففرح القوم بذلك، وأعطوا أمه على ذلك أجراً، فصار صنيعها مثلاً يضرب به.

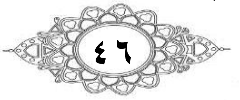
وحاولت آسية أن ترغّب أم موسى للبقاء معها في مقر فرعون، وتغدق عليها من النعم والخيرات، لكنها رفضت ذلك وامتنعت، وعاش في كنف أمه سليماً معافى، والكفالة والرعاية تصل إليه وإلى أمه من بيت آل فرعون.

فلما كبر وترعرع طلبته (آسية) أن يقدم إليها لكي تراه وتشاهده، وأمرت حاشيتها باستقباله وتكريمه بالهدايا والجوائز، وتم ذلك.

وورد في حديث الفتون:(فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أريني ابني فوعدتها يوماً تريها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظئورها وقهارمتها، لايبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه، وأنا باعثة أميناً يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته فرحاً به، ونحلت أمه بحسن أثرها عليه[1]).

وزهت زوجة فرعون بابنها المدعى، وفرحت به فرحاً شديداً، وأرادت تكريمه زيادة على ما فعلت، ففكرت في إدخاله على فرعون ليكرمه ويرفع من شأنه، وليغدق عليه من الحلل والجوائز، وعزمت على ذلك وقالت:(لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه،

١ - البداية والنهاية (١/ ٣٠١).



فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض.

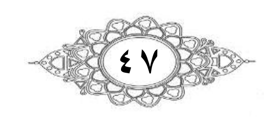
فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم بنيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه[1]).

سبحان الله كيف وصل الحال بفرعون وبطانته السيئة إلى أن يفسروا تحركات ذلك الطفل الصغير إلى أنها تهديدات وتوعدات بانقضاء ملك فرعون على يد ذلك الطفل الرضيع.

لقد استيقنت نفوسهم أنهم على غير الحق، لكن التكبر في الأرض بغير حق يؤدي بصاحبه إلى عدم الانصياع للبراهين والأدلة الصادقة، ولقد هرعت –آسية- زوجة فرعون حينما علمت بأمر زوجها الذباحين أن يذبحوا موسى تناقشه في شأن ابنها الصغير موسى، وتريد أن تقنعه بأنه طفل صغير، لا يعقل من أمور الحياة شيئاً.

---

١ – المصدر نفسه.



لكن فرعون أثار عليها أسئلة في شأن موسى، وزعم أنه يصرعه ويرثه، وأنه يعلو عليه فلا بد من التخلص منه، لئلا يقع منه شئ من ذلك. وربط الظلمة الظالمون بين ما وعد الله- سبحانه- خليله إبراهيم -عليه السلام- أن في ذريته الملك والنبوة، وبين هذا الطفل الرضيع وظنوا أنه سيكون من أولئك الذرية، الذين سيهدم ويحطم على أيديهم ملك فرعون وجنوده -مستقبلاً- وكان الأمر كذلك.

وورد في حديث الفتون أن امرأة فرعون جاءت إليه تسعى (فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ فقال: ألا ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني؟!. فقالت: اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق أنت!،أئت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل.

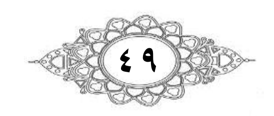
فقرب إليه فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده. فقالت المرأة:ألاترى؟! فصرفه الله عنه بعد ماكان همَّ به وكان الله بالغاً فيه أمره[1]).

وهكذا نشأ موسى -عليه السلام- وترعرع بين أحضان أمه، وتحت رقابة زوجة فرعون "آسية" التي هيأها الله تعالى لحمايته ورعايته ورقابته والدفاع عنه بالليل والنهار، فصرف الله بسببها عن موسى ظلم الظالمين، وكيد الخائنين والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لايعلمون.

إنها رعاية الله تعالى ورقابته، وقدرته وإرادته، تكفل بخلقه فرزقهم وهم لا يعلمون. قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾(هود:٦).

ولا يعجزه سبحانه في هذا الكون شي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (يس:٨٢).

١ - المصدر نفسه.



٧ - (موقف فرعون من موسى -عليه السلام- إلى أن بلغ أشده)

يتجلى لنا موقف فرعون مصر من نبي الله موسى -عليه السلام- وهو لايزال رضيعاً في المهد في عدة أمور:

الأول: موقفه منه عند ولادته.

الثاني: موقف منه عندما التقطه آله ودخل بيته.

الثالث: موقفه منه عندما أرادت زوجته آسية تكريم موسى -عليه السلام-.

الرابع: موقفه منه عندما علم أنه هو الذي قتل الفرعوني القبطي.

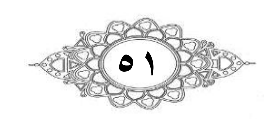
الحق أبلج، والباطل لجلج، واللجاج أصيب به فرعون من قبل ولادة موسى، وحين ولادته، وبعد ولادته.

أمّا الموقف الأول: فسبق بيانه في الفصل الأول. والذي يتلخص في أن الأقباط قوم فرعون شكوا إليه تخوفهم من انقضاء بني إسرائيل بسبب القتل الذي استشرى فيهم من فرعون وجنده وأنهم إذا انقضوا لا يجدون من يخدمهم، فيضطرون إلى أن يقوموا بالعمل الذي كان بنوا إسرائيل يقومون به من الامتهان

والاحتقار،فأصدر الطاغية أمره بعد مشاورة زبانيته أن يكون القتل عاماً بعد عام مع استحياء النساء واستبقائهم.

أما الموقف الثاني: فيتجلى فيه عظمة الخالق الباري في الحفظ والرعاية لموسى -عليه السلام- لما أفلت من يد أمه في اليم. وجال به الموج حتى أوصله بأمر الله إلى قرب بيت عدوه(فرعون) وأخذنه الجواري إلى سيدتهن زوجة فرعون. وكشفت سيدتهن عنه فجعل الله في قلبها محبة له لكن خبره انتشر في القصر وحواشيه، أنه مولود ذكر، فجاء الذباحون لينفذوا ما قد صدر من الظالم فرعون، بدون تردد ولا ريب، لكن وقفت زوجة فرعون ضد هذا الموقف، وقالت لهم مهلاً، حتى يأتي زوجي وأحاوره في شأنه، فتوقف القوم حتى جاء فرعون.وابتدرته قائلة له: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾(القصص:٩).

وألحت عليه في عدم الإقدام على قتله واستوهبته فوهبها إياه. فسبحان مصرف الأمور ومدبرها، لاراد ولامانع لما أعطى، ولامعطي لما منع، ولا راد لما قضى، يعلم السر وأخفى.

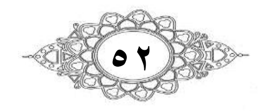


أما الموقف الثالث: فإن زوجة فرعون - آسية- طلبت من المرضعة أم موسى، أن ترى ابنها المدعى، لكي تكرمه، وتهديه من الجوائز والحلل، وتفتخر به امام الحاشية والرعية، فاستجابت لها أم موسى، فأتت به إليها فاستقبلته استقبالاً عظيماً، وأمرت خدمها أن يكرموه، ويعظموا من قدره ومكانته في المجتمع،فكان ذلك.

وأراد فرعون التخلص من ذلك الرضيع الصغير لتخوفه منه، فقامت زوجة فرعون - آسية- ضد ذلك وحاورت زوجها محاورة عقلية حتى أدرك ماقالت له وصار لديه قناعة بذلك فتوقف عن تنفيذ ما أمر به من القتل نحو موسى الرضيع عليه السلام.

وأما الموقف الرابع: لما شب موسى -عليه السلام- عن الطوق، وبلغ أشده، وصار يذكر في المجتمع على ألسنة الرجال، وكان عوناً ونصيراً- بأمر الله- لبني إسرائيل حيث خفف عنهم كثيراً من الأحمال والأثقال والسخرية والاستهزاء والامتهان والاحتقار في أوساط المجتمع القبطي.

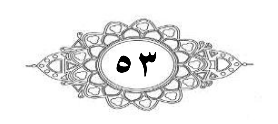
فبينما موسى-عليه السلام- ذات يوم يمشي على حين غفلة في تلك المدينة، إذ رأى رجلين يقتتلان: أحدهما: اسرائيلي من شيعته، والآخر:قبطي من أعدائه. فاستغاثه واستنصره الإسرائيلي فأجابه



فقضى على القبطي، كما أخبر الله بذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (القصص:١٥). ولا يعلم بهذا الحادث إلا الله تعالى ثم موسى والذي من شيعته.

وانتشر خبر المقتول القبطي في المجتمع. وصاروا يبحثون عمن قتله، وأين يكون حتى يقاد، ويقتص منه على فعلته الشنيعة. ورفع أمره إلى فرعون واستعظم ذلك واستنكره، وطلب منهم تقديم البينة والبحث عن الجاني (وعلم موسى -عليه السلام- بذلك فأصبح خائفاً في المدينة يترقب الأخبار، ويفكر كيف المخلص ممن يطلبه ويبحث عنه.)

وعاد موسى-عليه السلام- إلى نفسه وحاسبها، ولامها على ماأقدمت عليه، وعلم أن ما أقدم عليه إنما هو ضرب من عمل الشيطان، فقال لما رأى المقتول أمام ناظريه: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾(القصص: ١٥).



ثم لجأ -عليه السلام- إلى ربه واعترف بأنه ظلم نفسه، وطلب منه العفو والمغفرة، فهو أهل العفو والمغفرة، كما عاهد ربه أنه لن يكون عوناً ولا ظهيراً للمجرمين. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ (القصص:١٦-١٧).

وأصبح موقف موسى مهتزاً، لكونه اقترف تلك الخطيئة، فهو خائف من أن ينكشف أمره لأولئك القوم الذين تربصوا به وهو في المهد، فكم حاولوا قتله، والتخلص منه، فكيف وقد وقع منه ما يسوء إليهم، ولو انكشف فأين يذهب؟، وكيف يبحث عن المخرج للهروب حتى لا يقع في قبضة أولئك المجرمين؟.

وقضى الله سبحانه وتعالى أن ينكشف أمر موسى لدى فرعون وجنوده بطريقة عجيبة حيث لم يتعبوا في استقصاء الخبر، بل جاء الخبر إليهم دون عناء ولا مشقة.

فبينما كان موسى -عليه السلام- في مدينته خائفاً يترقب الأخبار، إذ هو بذلك الرجل الذي من شيعته الذي استنصره واستغاثه على المعاونة على قتل القبطي، ورآه موسى وهو يريد أن يبطش برجل آخر فرعوني فطلب من موسى إعانته عليه كما أعانه من قبل على

السابق. فاستنكر موسى -عليه السلام- فعل الرجل،ووصمه بالغواية، وبيّن الله ذلك في كتابه فقال: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ (القصص:١٨).

نعم إن الإقدام على قتل النفس البشرية بدون مبرر شرعي عمل لا يجوز بل هو ضلال مبين، واتفقت الشرائع السماوية على المحافظة على النفس البشرية وعدم إزهاقها إلا بحقها.

فتوقف الإسرائيلي عن الإقدام عن فعلته لما رأى موسى مستنكراً عليه، بل إن الغضب اشتد به وتملّكه حتى إنه خاف من بطش موسى به فأفشى السر الذي مضى من قتلهما للفرعوني السابق بقوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ (القصص:١٩)

فانفك النزاع بين الإسرائيلي والفرعوني، وانطلق الفرعوني بعد ما سمع الحوار الذي دار بين موسى والإسرائيلي إلى قومه، وأخبرهم الخبر، وأن موسى هو الذي قتل الفرعوني. فعليكم أن تأخذوا بالثأر، وهنا جند فرعون جنده، وأمرهم بالبحث عن

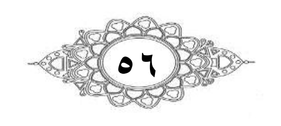
موسى والقبض عليه، وتقديمه للعدالة، أهذا يصدر من موسى الذي تربى في بيوتنا، وأحسنا إليه وأغدقنا عليه يفعل فعلته الشنيعة؟.

ولما بدأ الجند يبثون عيونهم من أجل التعرف على مكان موسى لكي يصلوا إليه، أسرع إليه الجندي المؤمن المجهول بتدبير الله تعالى وقضائه له فأخبره خبر القوم، وأنهم جادون في البحث عنه من أجل أن يقتلوه، واقترح عليه أن يخرج من تلك المدينة قبل أن يصلوا إليه.

وأخذ موسى -عليه السلام- بنصيحة ذلك الرجل وخرج من المدينة والخوف يتملكه ليس له معين ولا نصير، ولا ركن شديد يأوي إليه على وجه الأرض.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾ القصص (٢٠-٢١).

ولقد نجاه الله تعالى من قبضة أعدائه، وامتن سبحانه عليه بذلك، وهو صاحب الفضل والمنة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ

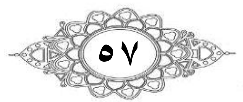


مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾ (طه:٣٧-٤١).

٨ - (موقف زوجة فرعون من زوجها وموسى)

إن الله سبحانه إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، وإن الله سبحانه قادر على إيجاد ذلك الشئ من دون أسباب، ولقد سبق في علم الله تعالى الأزلي أن عبده موسى عليه السلام سيكون من المرسلين. كما سبق في علمه تعالى أنه سيقع في أيدي أعدائه وهو طفل رضيع ليكون لهم عدواً وحزناً. فهيأ الله تعالى لعبده الضعيف من يحفظه ويكفله، ويرعاه من داخل بيوت أعدائه، وهم لايشعرون ماذا تكون العاقبة.

إن زوجة فرعون "آسية بنت مزاحم" قد هيأها الله تعالى لتكون سببا في نجاة موسى -عليه السلام- من فرعون وقومه، كما أن



موسى -عليه السلام- كان سبباً في هدايتها ونجاتها من النار، وهنا تثار عدة أسئلة:

هل زوجة فرعون عالمة بالدور الذي سيقوم به موسى تجاه زوجها؟ وهل هي عالمة بما سيكون لها من الخير العظيم على يدي هذا الطفل الرضيع في المستقبل؟.

والجواب على ذلك واضح وجلي أنها لا تعلم شيئا عن ذلك، إذن ماالسر في ذلك كله؟، إنه تدبيرالله وتصريفه للأمور كيف يشاء، لاراد لما قضى، ولامانع لما أعطى، ولامعطي لما منع.

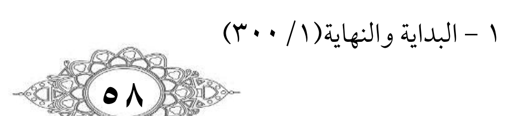
ويتجلى موقف زوجة فرعون نحو موسى عليه السلام وزوجها في عدة أمور:

الأول: فرحها به، ومحبته عندما نظرت إليه ورأته في التابوت،وذلك عندما قرِّب إليها من الخدم والجواري، حيث قذف الله سبحانه في قلبها له مكانة.

وقد ورد في حديث الفتون ما نصه:(فلما فتحته-أي التابوت- رأت فيه غلاماً فأُلقِيَ عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط[1]).

---

١ - البداية والنهاية(١/ ٣٠٠)



الثاني: أنها وقفت ضد من أراد أن يبطش به من جنود فرعون، وذلك أنهم لما علموا به في بيت إلههم المزعوم قدموا إليه قاصدين ذبحه والتخلص منه فقالت لهم(لاتقتلوه).

الثالث: أنها حاورت زوجها الطاغية، وحاولت التلطف به واستعطافه نحو هذا الغلام، بحيث يهبها إيَّاه ويصدر عفواً عنه من تنفيذ الإعدام فيه فقالت: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾(القصص:٩)

وقد وافق فرعون على طلبها على مضض من ذلك، ووهبها إيَّاه. وقد كان قرة عين لها بقضاء الله وقدره حيث أخرجها بفضل الله تعالى من الظلمات إلى النور ونجاها ربنا سبحانه بسبب موسى من فرعون وقومه الظالمين.

وكان حسرة وندامة على فرعون لأنه رفض أن يقبل ماقالت له زوجه، فوقع في الشقاء في دنياه وآخرته نسأل الله السلامة.

الرابع: اهتمت به حيث بحثت عن كل مرضع لتقوم بإرضاعه ورعايته وأرسلت خدمها يبحثون لها عمن يقوم بذلك، وقضاء الله سبحانه نافذ، فقد حرم عليه المراضع كلها إلا من قبل

أمه. فوقع الاختيار الذي لا مفر لهم منه عليها لكي تقوم بالدور المطلوب من إرضاعه ورعايته والحفاظ عليه، ولكي تقر وتهنأ عينها بولدها ويذهب عنها الحزن والوله ولكي تزداد إيماناً بوعدالله تعالى لها.

الخامس: تابعت رعايتها لموسى- عليه السلام- وهو عند أمه حيث دفعت لها أجرة من أجل موسى، وبعد أن عاش في كنف أمه برهة من الزمن طلبت آسية منها أن ترى ابنها موسى فلبت أم موسى طلبها وقدمت به إليها فهيأت له استقبالاً كبيراً من حاشيتها وطلبت منهم إكرامه ونحله الجوائز والهدايا.

السادس: أنها لما وصل إليها زائراً فكرت في تقديمه لفرعون من أجل تكريمه وتعزيز مكانه، وحتى لا يصل إليه أي عدوان من الآخرين، وبالفعل قامت بإدخاله على طاغية زمانه ولما وقع بين يديه مد موسى –عليه السلام- يده إلى لحيته فجرها إلى أسفل حتى تأذى فرعون من ذلك، ولما رأى زبانيته ذلك منه نحو إلهم المزعوم أشاروا عليه بالقتل خوفا من أن يكون حتفه في المستقبل على يديه، فأصدر أمره بذبحه، لكنها حاورته حتى أنقذته بأمر الله تعالى.

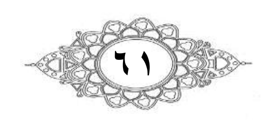
السابع: إن تلك الفرحة من آسية لموسى -عليه السلام- عندما رأته لأول وهلة صاحبها ولاء قلبي منها له، فصارت تكن في قلبها مالا يظهر على أعمالها وأقوالها.

ولما صارت المواجهة بين موسى- عليه السلام- وبين فرعون وسحرته في يوم الزينة كانت هي -رضي الله عنها- ترصد الموقف، وتتربص بفرعون وجنده، وتدعو الله سبحانه أن ينتصر موسى عليهم. وكتب الله تعالى النصر لموسى -عليه السلام-.

٩ - (دخول موسى المدينة وخروجه منها)

لقد شب موسى -عليه السلام- عن الطوق، وبلغ أشده، واستوى في عقله وجسمه وجميع ما منّ الله به عليه من الجوارح وغيرها، صار نصيراً لبني إسرائيل المستضعفين، فكان يدافع عنهم، ويزيل الظلم قدر جهده وطاقته إذا وقع عليهم.

والرجل إذا بلغ مبلغ الرجال يمشي في الأرض، ويغشى المجتمعات، ويأخذ ويعطي، ويبيع ويشتري، ويأمر وينهى، ويقدم ويؤخر، وهذه كلها من صفات الرجولة.

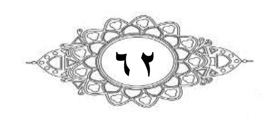


وموسى -عليه السلام- خرج عن عشه الذي ألفه وعاش فيه بعد أن بلغ أشده. ودخل "المدينة" مجتمع الناس العام على حين غفلة من أهلها الذين يحرسونها، ويديرون شؤونها من فرعون وجنده، فرأى مشهداً أثار نخوته ورجولته، ونصرته لبني إسرائيل، وكان السبب في خروجه من تلك المدينة في مصر إلى بلاد مدين.

ذلك المشهد هو اقتتال رجلين أحدهما من بني إسرائيل من قوم موسى -عليه السلام- وشيعته. والآخر من القبط من قوم فرعون وحزبه.

ولم يعتد موسى -عليه السلام- على القبطي حتى صرخ فيه الإسرائيلي الذي من شيعته وطلب منه الغوث والإعانة على القبطي.

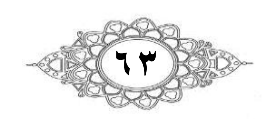
فلما رأى موسى -عليه السلام- ذلك المشهد، شعر بالخطيئة والندامة على ما أقدم عليه، فوصف عمله أنه من عمل الشيطان، ووصف الشيطان بأنه عدو للإنسان ومضل له ضلالاً مبيناً.



فلجأ موسى -عليه السلام- إلى ربه وتذلل وخضع بين يديه واعترف بظلم نفسه فيما أقدم عليه، وطلب منه العفو والصفح والغفران. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ (القصص:١٥-١٦)

الإنسان من طبيعته الخطأ والوقوع فيه(كل ابن آدم خطاء...) لكن المطلوب ممن وقع في خطأ أن يقلع عنه ويندم على فعله، ويلجأ إلى ربه بأن يتجاوز عن ما صدر منه من الأخطاء كما فعل نبي الله موسى - عليه السلام -.

وقد استجاب الله سبحانه لعبده موسى -عليه السلام- عندما طلب منه أن يغفر له ما وقع فيه من الخطيئة فغفر له، لأن من أسمائه سبحانه "الغفور" ومن صفاته "المغفرة" ومن أسمائه "الرحمن" ومن صفاته "الرحمة".



وربنا سبحانه كريم خزائنه ملأى، ويده سحاء يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه، وكما جاء في الحديث "من تقرب إليه شبرا تقرب الله إليه ذراعا، ومن تقرب إليه ذراعا، تقرب إليه باعا، ومن جاء إليه يمشي جاء إليه هرولة".

والله سبحانه قريب مجيب لمن دعاه ولجأ إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة:١٨٦).

إن الإنسان مهما ارتكب من الذنوب والخطايا فإن أبواب الله مفتوحة بالليل والنهار، فلا يقنط الإنسان ولاييأس من عفو الله ورحمته ومغفرته، وإن أعظم ذنب عصي الله به هو الشرك.

ويأتي بعد الشرك في الظلم، الاعتداء على النفس البشرية وإزهاقها بغير حق، ولذا وصف الله من فعل ذلك بقوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢).

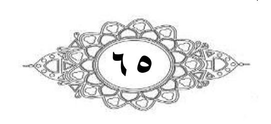
وورد في الحديث الصحيح: أن قتل النفس بغير حق من السبع الموبقات. ومع هذا قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ (الزمر:٥٣)

فعلى كل من وقع في خطيئة سواء كانت كبيرة أو صغيرة أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره ويتوب إليه ويندم على ذلك، ويخلص في توجهه إلى الله ولا يعود إلى ذلك .

لقد غفر الله تعالى لعبده موسى -عليه السلام- لكنه أصبح يعيش في تلك المدينة التي ارتكب فيها تلك الخطيئة خائفا يترقب.لماذا؟ إنه خائف من أن ينكشف أمره فيما أقدم عليه من قتل الرجل القبطي لدى فرعون وجنده فيبطش به على مرأى ومسمع من الملأ. وخائف لأنه لا يوجد لديه ركن شديد يأوي إليه لا من شيعته ولا من غيرهم.

وخائف أن يعود ضرر ما ارتكبه على بني إسرائيل، فهم مستضعفون، وربما يزدادون استضعافاً واحتقاراً بسببه، وخائف على أسرته -أمه وأخته- ومن سواهم أن يقع عليهم من ألوان العذاب ماالله به عليم وذلك بسببه خاصة وأن فرعون وجنده يتربصون ببني إسرائيل الدوائر فهم في شقاء وبؤس وفي بلاء عظيم كما ذكر الله ذلك عنهم.



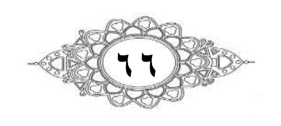
إن موسى -عليه السلام- يترقب متى يصلون إليه، ويترقب متى يقع في أيديهم، ويترقب كيف يواجههم إذا تراءى هو وإياهم.

وهو في حالة الخوف والترقب في المدينة يرى مشهدا آخر يتكرر على ناظريه مرة ثانية وهو أن

الإسرائيلي الذي استغاثه في المشهد الأول لقتل الرجل القبطي يستصرخه في المشهد الثاني لقتل رجل قبطي آخر.

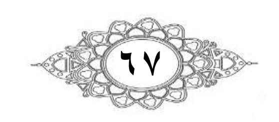
وهنا يلوم موسى -عليه السلام- صاحبه الذي من شيعته، ويصفه بالغواية في قوة وحزم،لكن مع هذا لم يتخل عنه وعزم على نصرته ، فلما أراد موسى -عليه السلام- أن يقدم على البطش بالقبطي دخل الوسواس في نفس الرجل الإسرائيلي الذي من شيعة موسى وظن أن موسى قادم عليه هو نفسه وأنه سوف يبطش به دون القبطي.

وهنا كشف الإسرائيلي سر المشهد الأول- والذي لا يعلم عنه إلا الله وحده ثم موسى والإسرائيلي- أمام القبطي وصاح الإسرائيلي بموسى لائما ومذكراً له ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ (القصص:١٩)



إنه موقف مشين من ذلك الرجل الإسرائيلي نحو من نصره وشد من أزره أن يكشف الأسرار التي بينهما أمام عدوه القبطي لمجرد الخوف والخور المتوقع وليس متحققا، ويزيد على ذلك وصف موسى -عليه السلام- بالجبروت في الأرض ومن كانت هذه صفته فلن يكون من المصلحين، بل سيكون من المفسدين في الأرض. قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ (القصص:١٨-١٩)

وينكشف السر أمام القبطي، ويتضح له أن الذي قتل الرجل القبطي في المشهد الأول هو موسى -عليه السلام- فيتلقف هذا الخبر، ويحفظه ويذهب به إلى الذين لا زالوا يبحثون عمن قتل ذلك القبطي، ويلقيه على فرعون فتثور حفيظته، ويشتد غضبه، ويستنكر صدور ذلك من رجل عاش في بيته وأنعم عليه- كما يزعم- ورعاه، وفي النهاية تكون النتيجة هذه. فيصدر أمره بالبحث عنه وتنفيذ حكم الإعدام فيه بدون تردد أو تريث.



إنني أقف مندهشا ومستفهما ومستغربا أمام موقف موسى -عليه السلام- وهو خائف يترقب من سطو أولئك الطواغيت الظلمة، وهو يفكر كيف يفلت منهم؟ وكيف ينجو من بطشهم؟.

لكني لما أتذكر حفظ الله تعالى له وهو لايزال رضيعا ضعيفا حيث صانه وحفظه من بطش أعدائه(فرعون وجنده). تزول الدهشة،كما يزول الاستفهام والاستغراب، فإنه سبحانه سيحفظه كذلك بعد ما بلغ أشده واستوى.

والله تعالى لايسلط عباده الظالمين على عباده الصالحين، لكن الامتحان والابتلاء للعباد من السنن الربانية، فينبغي أن لا ننسى عندما تقع الأحداث أن الذي خلق الخلق ورزقهم وأنعم عليهم ومنحهم القوة هو الله العلي العظيم فهو قادر أن يسلب كل شئ منهم فمن لاذ بجانبه ما خاب ، ومن أدبر عنه خسر وبار، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

فقيمة اليقين بالله، والتوكل على الله، والرجاء فيما عند الله- تعالى- من أقوى عوامل الثبات للإنسان في حياته، وبعد مماته.

١٠ - ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾

لقد عاش نبي الله موسى -عليه السلام- في المدينة خائفاً يترقب بسبب ما أقدم عليه من البطش بذلك القبطي، وانتشر خبره لدى من يتربص به الدوائر. وفي غمرة الحدث وتوقع القبض عليه من الأعداء تضيع الأفكار بل تهرب من صاحبها، ولا يدري ماذا يعمل، فيصاب بالحيرة في أمره لأنه لايدري من أين يأتيه الحدث، لكونه لايعلم الغيب فيدفع عن نفسه ما اطلع عليه لكن العناية الربانية والقدرة والمشيئة المطلقة هي التي تسير الأمور إن العباد مهما أعطوا من القوة والجبروت في الواقع البشري فهم ضعاف مهازيل، وهم في قبضة الله لا يستطيعون جلب خير لأنفسهم، ولا دفع شر عنهم.

فلماذا التكبر والتجبر والإعراض، ولماذا المؤتمرات والمؤامرات الجوفاء على بعضهم البعض، والتصريحات الفجة؟.

لقد هيأ الله تعالى لعبده موسى -عليه السلام- من ينقل إليه خبر أعدائه، ويمحضه النصح. ويرشده إلى الطريق الأسلم. وما أجمل النصح والإرشاد في ساعة الكرب والاختناق.

إن موسى – عليه السلام – يعيش حالة كرب من تربص أعدئه به ، ومتابعتهم له ، وبحثهم عنه ، وليس له من يعينه بالرأي والمشورة ، وهو فرد أعزل من كل شئ . فيأتي ذلك الرجل من مكان بعيد ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ تهيأة من الله ومنة منه لعبده الخائف المترقب الوجل ، بعد أن علم بخبر القوم وأنهم يبحثون عن موسى – عليه السلام – من أجل القضاء عليه، فينطلق مسرعا تجاه موسى يخبره الخبر.

وهنا عدة أسئلة واستفهامات عدة نحو هذا الرجل ودوره. منها :

ما هي العلاقة بين موسى وهذا الرجل؟هل هو من شيعته؟أو هل هو من قرابته؟ وهل كان بينه وبين موسى تعاون في ذلك المجتمع الجاهلي؟وهل هو مكلف بدور معين يقوم به؟وهل كان يعلم بمقر موسى؟وكيف؟وكيف وصل إليه، وجنود فرعون منتشرون في أنحاء المجتمع؟وكيف وصل إليه خبر الملأ؟

إن هذه الأسئلة لانستطيع أن نجد لها جواباً يقيناً ، لكن الذي يجب أن لا نحتار فيه أن قيام ذلك الرجل بذلك الدور العظيم هو من حفظ الله لعباده ورعايتهم ودفع الشرور عنهم فلله الحمد على

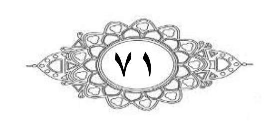
فضله واحسانه . لقد قام ذلك الرجل بدور الرجال إذا ذكر الرجال ، والرجال قليل .

إنه رجل لأنه اخترق الملأ (فرعون وملائه) وعرف خبرهم وعرف خطتهم نحو موسى – عليه السلام – فأخبره خبرهم .

وإنه لرجل لكونه لم يأبه بفرعون وجنوده ، ذلك الرجل الذي ادعى الربوبية والألوهية، ويا ويل من يخالفه في الرأي، أو يخرج عن قانونه ، فذهب إلى موسى لكي يخبره وينقذه من الوقوع في قبضتهم.

كم تحتاج الأمة إلى الرجال الصادقين الصالحين الذين يفكرون لها ويتشاورون في قضايا أمتهم ودينهم ، ويكشفون مخططات الأعداء، ويعدون العدة لإنقاذ أمتهم من الوقوع في براثنهم ، ويحفظون دينهم من التشويه ، والنقص أو الزيادة، ويبلغونه كما جاء من عند الله .

لقد استجاب موسى –عليه السلام– لنصيحة ذلك الرجل ولا شك أنها وقعت على قلبه برداً وسلاماً ، ونفست عنه كرباً وهماً وحيرة من أمره.

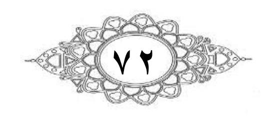


فخرج من تلك المدينة وربما يكون الهاجس الأمني يسيطر على موسى في طريقه فربما يلحقون به في الطريق فينتقمون منه.

خرج موسى – عليه السلام – وحيداً في طريقه من مدينته الظالم أهلها إلى مدينة مدين، ولسانه يلهج بالدعاء لربه أن يهديه السبيل الأقوم، وأن ينجيه من أولئك القوم الظالمين .

ليس معه من يؤنسه في طريقه ، ولا ينفس همه وكربته ، ولا يهدّئ من روعه وخوفه ، ولا يتجاذب معه أطراف الحديث ، ولا يدله على مسالك الطريق ، وليس له خبرة من قبل ذلك ، وما كان يتوقع أن يصل به الأمر إلى ذلك ، حيث عاش منعماً مدللاً في بيت الملك والعظمة .

هذه حياة الأنبياء وسيرتهم ، وهذه أقدار الله تعالى لهم ، تولى الله تعالى تربيتهم ، وابتلاهم قضاء وقدرا منه لهم، ليكونوا قدوة لمن بعدهم من أمتهم، وليعلم ورثة الأنبياء أن الطريق الصحيح هو طريق الأنبياء فليصبروا وليحتسبوا على ما يلاقون في طريقهم وليدعوا ربهم أن يهديهم السبيل المستقيم وأن ينجيهم من كيد



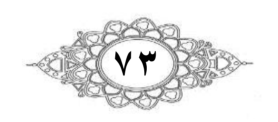
الكائدين ، وحقد الحاقدين، ومكر الماكرين ، أسوة بالأنبياء في ذلك ، ولا يستعجلوا الطريق ، فإن النصر بيد الله تعالى ، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ (آل عمران:١٢٦).

١١ -(الرحلة البرية الأولى لموسى – عليه السلام - الخروج من الوطن)

لما خلق الله سبحانه الكرة الأرضية خلق فيها بحاراً وأنهاراً، وسهولاً وجبالاً، وجعل فيها رواسي شامخات، وجعل الليل والنهار آيتين لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وأمر عباده بالمشي عليها لكي يروا آيات الله العظمى فيزدادوا إيماناً وخشوعاً وخضوعاً لخالق هذا الكون سمائه وأرضه.

قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ (الملك:١٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).



وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ (قّ:٦-٨)

ولقد خرج نبي الله موسى-عليه السلام- من بلده الذي ولد فيه ونشأ فيه "مصر" إلى بلد آخر لا يعرفه، ولا يعرف الطريق إليه، يسمى "مدين" خرج وحيداً لا أنيس معه في الطريق من قريب ولا من بعيد، يتجاذب معه أطراف الحديث، ويؤنسه وحشة الطريق. ولم يخرج آمناً مطمئناً ينظر في صفحات الكون المشاهد، ويرى عظمة الله تعالى في مخلوقاته المتعددة والمتنوعة، بل خرج خائفاً وجلاً من قوم تمالؤوا عليه ليقتلوه، وينزلوا به أشد العقوبة، وكان يترقب الانقضاض عليه من كل جانب، لأنه لايعرف مسالك الطريق، وما تعود ذلك، آه من وحشة الطريق،وانعدام النصير، وقلة السالك،وجور الباغي، ومطاردته.

ومن كان هذه حاله -خوف يتملكه، وعدو يطارده ويتهدده- يبقى في حالة قلق، وتربص مستمر، وتفكير مضطرب، لايدري متى يبطش به العدو، ويقع في قبضته، ولايدري متى يصل إلى قوم

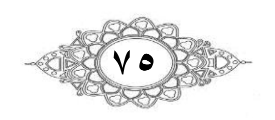
يأنس برؤيتهم، ويزيلون عنه شيئاً من العناء والوحشة والرجفة والقلق، ولا يدري متى يعود إلى وطنه الذي أخرج منه وهو غير راض بذلك.

إنها معاناة في داخل النفس، ومعاناة في الطريق، ومعاناة من قلة الزاد، وأنيس الطريق، ومعاناة ممن سيلقاهم أمامه، كيف يأوي إليهم، وكيف يقص خبره عليهم، وكيف يستقبلونه؟.

لكن الرجل المؤمن بالله، والواثق بنصره، والمتوكل عليه حق التوكل، يلجأ إليه ويعتصم به ويتضرع إليه، فهو الخالق الرازق وهو المحيي والمميت، وهو النافع وبيده مقاليد الأمور، لا راد لما قضى، ولا مانع لما أعطى، ولا مذل لمن أعز ، ولا معز لمن أذل.

لقد لجأ موسى -عليه السلام- بجلال الله وعظمته فدعاه وحماه وهيأ له من الأسباب وطرق الخير الشئ الكثير.

لما خرج -عليه السلام- من مدينته وهو خائف يترقب، بعد أن علم علم اليقين أن القوم يبحثون عنه، وقد عقدوا مؤتمرهم للقضاء عليه، وجاءه الناصح بذلك الخبر، شد عزمه وخرج من مأزره، وطلب من ربه أمرين عظيمين:



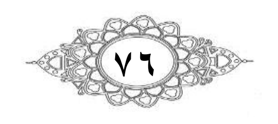
الأول : طلبه النجاة من الظالمين. قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ (القصص: ٢١).

الثاني: طلبه أن يرشده ويهديه إلى الطريق المستقيم.قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ (القصص: ٢٢).

إن اللجوء إلى الله تعالى في حالة السراء والضراء هو المطلوب،لأن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، ومقدر الأمور ، وبيده مقاليد كل شئ.

إن البشر مهما أعطوا من القوة ومهما أعدوا من العدة، فإنهم لايساوون شيئا أمام قدرة الله وعظمته، فالخلق خلق الله، والأمر أمره.

وإن نبي الله موسى -عليه السلام- لجأ إلى قوة ما بعدها قوة، وإلى رعاية ما بعدها رعاية، وإلى رقابة ما بعدها رقابة، وإلى إرادة ما بعدها إرادة، لجأ إلى الله تعالى، ونعم بالله، ماخاب من دعاه ولا خاف من توكل عليه ولا ذل من لاذ بجانبه.



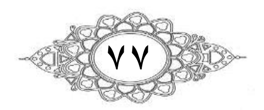
إن الظالمين نسوا قدرة الله، وظنوا أنهم خارجون من قبضة الله سبحانه، إنهم في غيهم يعمهون، وفي ظلالهم يسدرون، إنهم جاهلون بحقيقة أنفسهم، ومن كان حاله كذلك فهو ظالم لنفسه ولغيره.

ولذا يجب الحذر منهم، وكشف حالهم، والبعد عن العيش في كنفهم، فإنهم لا يزيدون الناس إلا ضلالاً وتباراً.

وعلى المسلم أن يدعو ربه أن يوفقه في أقواله وأعماله، وأن يهديه إلى الطريق والسبيل القويم، فإنه لا يهدي لذلك إلا هو سبحانه، ويجب أن يكون هذا ديدن المسلم، ويزداد ذلك في حالة الكرب والشدة كما فعل نبي الله موسى -عليه السلام-.

وبينما نبي الله موسى-عليه السلام- ماشياً في طريقه إلى (مدين) وقبل أن يصل إلى تلك المدينة وجد في طريقه ماءً يسمى (ماء مدين) يرد إليه الناس يسقون رعاءهم ، ويروون غليلهم ، وإن منظر الرعاة وهم يسقون رعيتهم- من الماشية- ليثير الدهشة لمن ينظر في أمرهم، ويشاهد حالهم.

لو نظرت إلى الدلاء وهي في أشطانها خالية وملأى من الماء، واختلافها في النزع والإنزال ، ولو سمعت إلى الرجز ممن يسقي



وينزع الدلاء ، ولو رأيت تزاحم المواشي على الماء ، ولو رأيت التنازع بينهم فيما يريد كل واحد أن يتقدم عن صاحبه وجاره لرأيت عجباً ، ولو رأيت عضلات الذراعين المفتولتين وهي تنزع في الدلاء ، ولو رأيت العرق وهو يتصبب من الجبين ومناسم الجسم ، مبللاً الملابس، ولو سمعت النغمات التي تصدر منهم وهم ينادون بها دوابهم ، ولكل نوع من الماشية نغمة غير نغمة الأخرى فللغنم نغمة ، وللبقر نغمة ، وللإبل نغمة ، وللحمير نغمة، لرأيت عجباً.

ولقد لفت انتباه نبي الله موسى-عليه السلام- من تلك الأمة المجتمعة على السقي،وقد ابتعد عنهم امرأتان تذودان غنمهما عن ذلك المجتمع،فلا يزاحمان القوم في السقي، وتنتظران صدورهم حتى تتمكنا من السقي بدون مزاحمة ولا مشادة، حياءً وخجلاً من مزاحمة القوم، أو ضعفاً وعدم قدرة على ذلك، وكلاهما من طبيعة المرأة ، فالمرأة العاقلة تقدر وتحترم نفسها ومن وراءها،فكيف إذا كانت من بيت عز ومكانة، كهاتين المرأتين، فإن مزاحمة المرأة للناس في منتدياتهم وفي قضاء حوائجهم ليس من طبيعتها، بل إذا

حصل منها شئ من ذلك فإنه سلوك مشين وخارج عن طبيعتها التي خلقها الله عليها .

ولقد رحم نبي الله موسى-عليه السلام- تلك المرأتين اللتين ابتعدتا عن مزاحمة الرعاة ، ولما سألهما موسى-عليه السلام- عن سر بعدهما عن الرعاء أجابتا بأمرين :

الأول : أنهما لا يسقيان أصلاً حتى يصدر الرعاء .

الثاني : أن أباهما شيخ كبير .

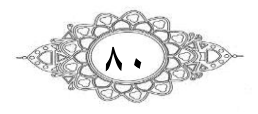
ويبدو- والله أعلم- أن أباهما رسم لهما الخطة في السقي، فلكونه لا يستطيع أن يرد معهما الماء لمساعدتهما في السقي ، ولعدم وجود محرم لهما، أرشدهما إلى التريث، والبعد عن المزاحمة للرعاء حتى يصدروا، ثم تردان بعدهم الماء فطبقتا ذلك ، وربما يكون ذلك التصرف صادراً منهما لرجاحة عقليهما، وتغلب الحياء والخجل عليهما حتى لاتقعان في مزاحمة الرعاة، فلله درهما، وشكر الله سعيهما، وهكذا شأن المسلمات المؤمنات القانتات السائحات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ويبتعدن عن مواطن الرجال في أي مكان كانوا.

فتقدم موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلى الماء وكشف الغطاء عنه وأدلى دلوه ونزع لهن من الماء وسقى لهن، وعاد إلى الظل مناجياً ومنادياً ربه في خضوع وافتقار ، وسكون وانكسار.

اخرج ابن أبي شيبة بسنده عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان قال: ماخطبكما؟ فحدثتاه، فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم. قال ابن كثير: اسناده صحيح.

إن نبي الله موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حباه ربه قوة في جسمه، وفي عقله، وإيمانه، ومع ذلك يلجأ إلى من حباه تلك القوة فيعترف بالتقصير والفقر، وأن لا ملجأ من الله إلا إليه . قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ (القصص: ٢٤).

إن هذه المبادرة من نبي الله موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في إعانة الضعيف ومساعدته في قضاء حاجته لهو خلق عظيم حثّ عليه الدين الحنيف .



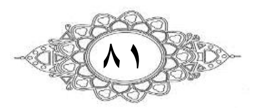
إن موسى -عليه السلام- خرج من مدينته خائفاً يترقب ومن كانت هذه حاله فإنه يبحث عن مكان خفي لايراه الناس ولا يحب أن يروه حتى لاينكشف أمره خشية أن يدلّوا عليه أعداءه ، لكن موسى -عليه السلام- يبادر إلى فعل الخيرات ، ويساعد المحتاج ، ويعين الضعيف على قضاء حاجته ، مفوضاً أمره إلى خالقه ومتوكلاً عليه، ومعترفاً بضعفه وفقره أمام ربه وخالقه .

وهكذا يجب على الذين يقتدون برسل الله الكرام-عليهم الصلاة والسلام- وينتهجون نهجهم، ويسيرون على طريقهم غير عابئين بالعوائق والعقبات التي يلاقونها في طريقهم إلى الله تعالى .

لقد رجعت المرأتان إلى مستقرهما، وإلى أبيهما، وهما تحملان شعوراً عجيباً عن ذلك الرجل الذي بادر إلى السقي لهما وإعانتهما، بعدما استفسر عن حالهما، وأخبرتا أباهما بحاله ، وربما أنهما سمعتا مناجاته لربه، ونقلتا تلك المناجاة إلى أبيهما.

١٢ - (موسى -عليه السلام- والشيخ الكبير)

لما قام موسى -عليه السلام- بالسقى لتلك المرأتين الضعيفتين تولى إلى الظل وحيداً فريداً أين يؤمم وجهه، وأين يتوجه وأين يأوي ويختفي من الأعداء الذين يتابعون أخباره، ويقتفون أثره كي



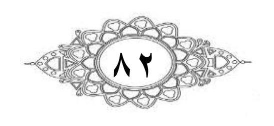
يبطشوا به، لجأ إلى ربه، العظيم البصير، والسميع العليم، والعزيز الحكيم، واللطيف الخبير، فشكا إليه حاله –وهو سبحانه أعلم به– فإن الإنسان مهما أعطي من الخير فإنه لازال ولايزال فقيراً إلى خالقه ورازقه ومحييه ومميته، قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ (القصص: ٢٤).

ويذكر بعض السلف: أن المرأتين سمعتا هذا الدعاء من موسى –عليه السلام– ولما قفلتا راجعتين إلى مقرهما ومسكنهما واجهتا أباهما بما رأتا وشاهدتا من تصرف ذلك الفتى نحوهما، فأعجبتا بقوته، وبأدبه الجم، وبمبادرته لإعانتهما، وذكرتا لأبيهما ما سمعتا منه من ذلك الدعاء الذي يدل على قوة الصلة بالله تعالى والاعتراف لله تعالى بحاجته إليه مهما أعطي من الخير سواء كان كبيراً أو صغيراً،

وأن ذلك يدل على وحشة يعيشها موسى في طريقه. فلما شرحتا لأبيهما حال ذلك الفتى وصفته إحداهما بأمرين:

الأول: القوة.

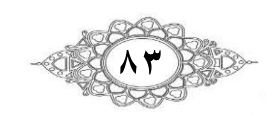
والثاني: الأمانة.



وقلما تتوفر في شخص، ثم طلبتا من أبيهما أن يستأجره فإنه قوى أمين. قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (القصص: ٢٦).

ولقد لفت كلام تلك الفتاة ذهن أبيها- ذلك الشيخ الكبير- وأمرها بالذهاب إلى موسى لدعوته، والاتيان به، ويبدو أن مكانه الذي آوى إليه ليس بعيداً عنهم.

وانطلقت تلك الفتاة نحو كليم الله موسى -عليه السلام- في خطى حثيثة، وأدب جم، وستر كامل، ولسان طلق، وعزيمة قوية، لتبلغه دعوة أبيها، ولعلها قد تفرست في موسى -عليه السلام- وهو يسقي لهما الغربة والمشقة والعناء، زيادة على ما رأت منه وشاهدت من القوة والأمانة، فأرادت الاستفادة منه والعطف عليه، وهذا من الأسباب التي هيأها الله سبحانه لموسى -عليه السلام- ولما وصلت إليه أبلغته الدعوة في أدب رفيع، ومنطق سليم، وأخبرته أن والدها يريد أن يجازيك ويحسن إليك مقابل ما قدمت لنا من الخدمة في السقي. قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ

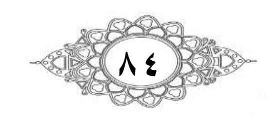


عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (القصص: ٢٥).

فاستجاب موسى -عليه السلام- لتلك الدعوة وانطلق معها إلى ابيها، كيف لا وهو يعيش وحشة الطريق وغربتها، لايعرف من يأوي إليه ويستأنس بالحديث معه، ولاشك أن ذلك من تنفيس الكربات عن النفس خاصة وهي تعاني من أمور كثيرة، من أعظمها مطاردة الأعداء، وقلة الناصر.

فلما وصل إلى ذلك الشيخ الكبير عرفه بنفسه، وعرض عليه أمره، وقص عليه خبره، فكان من كرم الضيافة، ومواقف الرجال، وحسن الاستقبال، وحماية الضيف والجار، ونصرة الضعيف والمظلوم، والوقوف ضد الباطل وأهله، أن قال ذلك الشيخ الكبير مسريا عن موسى، ومطمئناً وناصراً له، قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (القصص: ٢٥).

ما أجمل العبارات المضيئة، بل المشرقة وهي تقرع الأسماع، وتسلي النفوس، وتثبت العقول، فتعيد للنفس هدوءها وسكونها وأمنها، بعد قلقها ورجفتها وخوفها.

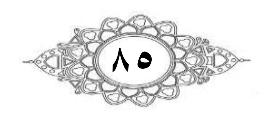


وكأني بموسى -عليه السلام- يتهلل وجهه بالبشر والضياء، وينطلق لسانه أكثر بالشكر والثناء لله رب العالمين، ويزداد شموخاً وثباتاً في الطريق، وتنقلب الغربة والوحشة ألفةً، والخوف أمناً، والقلق والوجل هدوءاً وسكوناً، والضعف قوةً، والفقر غناً، والتنقل والترحال استقراراً، والحزن فرحة، وشظف العيش رخاء.

إنّ النفس الأبيّة لاترضى أن تعيش على فتات العيش وموائد الآخرين، بل لابد أن تبحث عن وسيلة تكدح من خلالها، وتشعر بالعزة والاستعلاء بعيداً عن المسألة والاستجداء، وهذا ما وقع لموسى -عليه السلام- حيث عاش مع الشيخ الكبير عيشة عمل وكدح يرعى له الغنم مقابل تزويجه إحدى ابنتيه، واتفقا على مدة العقد اللازم والكامل برضا واختيار.

ومرت الأيام، وانتهت المدة الزمنية المتفق عليها بين الرجلين، فأدى موسى مهمته في قوة وأمانة، واختار أتم الأجلين وأكملهما، ووفى الشيخ الكبير بما اتفق مع موسى عليه من التزويج لإحدى ابنتيه.

إن موسى -عليه السلام- عاش فترة زمنية مع الشيخ الكبير والله وحده هو الذي يعلم ماذا حصل له فيها من المواقف والمشاهد،



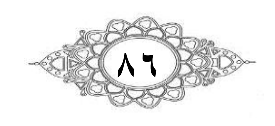
والذي نعلمه نحن البشر من خلال النص القرآني الكريم أنه قضى أتم الأجلين وأكملهما عشر سنوات، لأن الاتفاق بينهما كان على ثمان سنوات، فإن أكملها عشراً فذلك تفضل منه وكرم وليس بإلزام.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾ (القصص:٢٧-٢٨).

والنص القرآني يصور لنا شيئاً من مواقف ذلك الشيخ الكبير نحو نبيّ الله موسى -عليه السلام- ومن تلك المواقف:

١- إرسال احدى ابنتيه لدعوته ومكافأته لما قام به من السقي لبناته.

٢- استقباله والاستماع إليه وهو يقص عليه القصص، ويبدو أنّ موسى -عليه السلام- قص عليه كل ما حصل منه وعليه، وذكر له مطاردة الأعداء له.

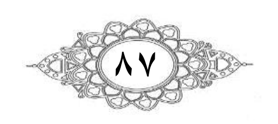


٣- مناصرته له بعد أن استمع منه أخباره، وإدخال السرور عليه، وقال له: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ فلا يستطيعون الوصول إليك، وليس لهم علينا طريق.

٤- عرض على موسى أن يزوجه احدى ابنتيه شريطة أن يمكث عنده مدة من الزمن، ولا ندري ما الحكمة من اشتراطه على موسى -عليه السلام- ثمان حجج أو عشراً؟! هل ذلك من باب الاستئناس به والعيش معه تلك الفترة؟ أم أن الحكمة الدراية والمعرفة بتصرفاته، وسير حياته، لأن ابنته ستكون في النهاية معه، أم الحكمة الدفاع عنه والاطمئنان عليه من الأعداء؟ أم غير ذلك وكل ذلك وغيره وارد.

٥- ترفقه بموسى -عليه السلام- فمع اشتراطه عليه فلا يريد أن يشق عليه، وهذه من صفات الصالحين بعضهم مع بعض.

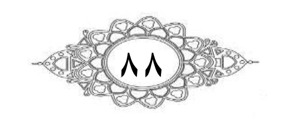
أما كليم الله موسى -عليه السلام- فإن شموخ نفسه وعفتها دفعت به إلى أن يؤجر نفسه ثمان سنوات أو عشراً يرعى لذلك الرجل الصالح غنمه، ويأكل ويشرب من تعبه، ولا يبقى عالة على غيره.



ولما قضى أكمل الأجلين وأتمهما ودع مضيفه هو وأهله ليعود إلى أهله وبلاده التي غادرها منذ زمن، وليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولتبدأ حياة ومرحلة جديدة من حياة موسى -عليه السلام- أعظم مما مرَّ عليه من قبل.

١٣ -(الرحلة البرية الثانية لموسى -عليه السلام- رحلة العودة إلى الوطن)

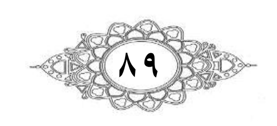
إن من سنن الله تعالى في خلقه حنين الإنسان إلى وطنه، مهما كان في ذلك الوطن من العنت والشقاء، وإن نبي الله موسى -عليه السلام- لمّا غادر وطنه بغير رضاً منه أو اختيار، وغاب عنه سنين عديدة، بسبب جور الظالمين عليه، أعد عدته، وعاد إلى وطنه، بعد ما قضى ذلك الأجل الذي تمّ بينه وبين ذلك الشيخ الكبير، والذي يقدر بعشر سنوات، ويسدل الستار على تلك السنوات العشر، لا ندري ماذا تلقى فيها موسى، وماذا عمل فيها، إلاّ رعيه للغنم فقط، ثم عقد العزم على الرجوع إلى أهله وبلاده، مستصحباً معه في طريقه أهله ومتاعه، ويلقى في تلك الرحلة من المشاهد والمواقف الشئ العظيم، والنص القرآني يبين ذلك ويوضحه بدون تفصيل.



قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (القصص٢٩-٣٢).

إن هذا النص القرآني الكريم يحمل في طياته أخبار تلك الرحلة بإيجاز، ويعرض لنا مشاهدها باختصار،مع التمام في المعنى، وهذا من بلاغة القرآن وفصاحته وعظمته.

لقد عاد موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلى بلاده برفقة أهله، وبعض متاعه، يحثُّ الخطوإلى بلاده،عادة كل غائب يعود إلى أهله وأرضه، لكن يفاجأ-عَلَيْهِ السَّلَامُ- بنداءآت ومشاهدات وبراهين،لم يعهدها من قبل



في طريقه، مما أثار في نفسه الخوف والوجل والقلق، والحذر، ومن تلك المواقف:

١- مشاهدته لنار بعيدة عنه، وهو في ليلة مظلمة مطيرة،قاصداً الاستضاءة بها،والتصلية والتدفئة.

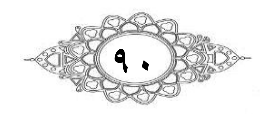
٢- سماعه النداء من الشجرة في البقعة المباركة، الصادر من الله رب العالمين.

٣-رؤيته لعصاه بعد إلقائها وهي متغيرة عليه في صورتها وخلقتها وحركتها، وخوفه منها.

٤-منظر يده بعد أن أخرجها من جيبه وهي بيضاء نقية من غير سوء.

٥-وجود الاطمئنان والسكون بعد أن يضع يده على قلبه، رحمة من الله تعالى به.

هذه المواقف العظيمة التي شاهدها موسى-عليه السلام- وهو في طريقه إلى أهله وبلاده، ما كانت تخطر بباله،ولا كان يتوقع رؤيتها وسماعها، وبناء على ذلك أصيب بالخوف وعدم الاطمئنان،لكن عناية الله تعالى لعبده وتكريمه له، ترافقه من المهد إلى اللحد.



إن أعظم مشهد وموقف قابله موسى -عليه السلام- في هذه الرحلة البرية هو تكليف الله تعالى له بالرسالة إلى عدوه اللدود "فرعون" الذي هرب منه في أول الأمر، وهجر أهله وأرضه من أجله، وهذا تحقيق لوعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد حيث طمأن أمّه بأنه سبحانه سيرده إليها،وفوق ذلك سيجعله من المرسلين. كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾(القصص:٧).

ومن المواقف العظيمة التي لا قاها موسى في طريقه، كون ربه الذي خلقه يناديه، ويتكلم معه بدون واسطة، هذا هو الفضل العظيم، وهذا هوالعطاء الجزيل، الذي لا منّة فيه ولا نفاذ،أيّ تكريم وأيّ تشريف هذا؟!! ترجع به يا موسى إلى أمك وأهلك وأعدائك، بعد رحلتك المضنية، وغربتك المتعبة، فارقت أمك وأهلك ووطنك، وأنت في حالة يرثى لها من الخوف والمطاردة،والغربة والوحشة، تمكث في غربتك عشر سنين، والشمس تشرق عليك وتغرب، وأنت خلف غنيمات تغدو بها

وتروح، والله هو الوحيد الذي يعلم ما يكنه صدرك،وما يلوح في ذهنك،وما تأمرك به نفسك.

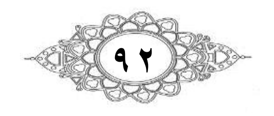
إن ما حصل لك في طريقك وأنت في رحلتك الأولى، وفي رعيك للغنم هو نوع من الابتلاء،كما أن ما حصل لك في طريقك وأنت عائد إلى أهلك ووطنك من المواقف والمشاهد العظيمة هو نوع من الابتلاء أيضا، وإن كان هناك فرق بين الابتلائين، وتلك الابتلاءات هي سبيل التمكين.

إنّ هذا هو اختيار الله تعالى لك، ونعم المختار، ونعم الاختيار. قال تعالى:﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾(طه: ١٣).

وهي محبة الله تعالى ترعاك وتكلأك قال تعالى: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ (طه:٣٩).

وهو اصطفاء الله تعالى لك من دون الناس بالرسالة والكلام. قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (الأعراف:١٤٤).

ما أعظم هذه القدرة التي تحيط بك ياموسى، وما أعظم هذا التكريم الذي فزت به من بين خلق الله، اختيار واصطفاء، ومحبة



وكلام،ونصر وتأييد، وعلو وتمكين،كل ذلك يأتي بعد ذلك العناء الذي لا قيته في أول حياتك، ما عقلت منها وما لم تعقل، والأعمال بالخواتيم.

ولقد حرم أهل الابتداع من الإيمان بهذه الصفات الألهية- المحبة والكلام والرؤية والسماع- التي امتن الله بها على عبده موسى-عليه السلام-، وغيرها من الصفات الأخرى، التي تشعر برحمة الله تعالى من خلالها،وبعزته وحكمته، وعلمه وسمعه وبصره، وقدرته ومشيئته، وإحاطته بكل شئ،وهيمنته وجبروته، وعلّوه واستوائه على عرشه، وأنه بائن من خلقه، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، وذلك لفساد المدرسة التي نشأوا عليها، مدرسة الزيغ والإلحاد، والتحريف والتأويل والتعطيل والتشبيه والتجسيم والحلول.

وصدق الله تعالى القائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الأعراف: ١٨٠).

إن التكاليف الربانية ليست بالشئ اليسير، إنها تكاليف عظيمة وكبيرة وثقيلة، تحتاج إلى رجال أقوياء في حملها، وفي تبليغها إلى

الآخرين، وتحتاج إلى صبر ويقين، وتوكل على الله، وهمّة عالية، وموسى -عليه السلام- من أؤلئك الرجال العظماء، فقد صنعه الله تعالى على عينه، وغذاه ورباه ومحّصه حتى بلغ أشده، واستوى على سوقه، فكلّفه وأرسله،بعد أن أعطاه الله تعالى الحكم والعلم، فقام بما كلّف به خير قيام.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ (القصص:١٤).

١٤ - مطالب موسى -عليه السلام- من ربه.

ولما علم موسى -عليه السلام- بتكليف الله تعالى له بالرسالة،لم يتردد في حملها، لكنه تذكر شيئاً من ماضيه مع فرعون وقومه،إنه عاش أول حياته في قصر فرعون، ورأى من طغيانه وجبروته الشئ الكثير، ومع ذلك حفظه الله من بأسه وبطشه، وهو في حالة ضعف وغربة، وطلب موسى من الله تعالى مطالب تُحققُ له، لكي يستطيع أن يقوم بأداء ما كلّف به خير قيام، بعضها معنوي، وبعضها حسي، ومن تلك المطالب ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ

رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ (طه: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ (القصص: ٣٤).

وقد استجاب الله تعالى لعبده موسى ما طلب، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ (طه: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (القصص: ٣٥).

إنّ هذه الإجابات من الله تعالى لعبده موسى تحمل في طياتها الرحمة والنصرة والغلبة على العدو، نصرة من الله تعالى لموسى وهارون على عدوهما فلا يصل إليهما، ونصرة من هارون لأخيه موسى – عليهما السلام- تتمثل في شد أزره وعضده، وفي الفصاحة والبيان، وفي الأنس من وحشة الطريق، وكل هذا رحمة من الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾﴾ (مريم: ٥٣).

يقول سيد قطب-رحمه الله تعالى:(لقد طلب إلى ربه أن يشرح له صدره.. وانشراح الصدر يحول مشقة التكليف إلى متعة، ويحيل عناءه لذة، ويجعله دافعاً للحياة لا عبئاً يثقل خطى الحياة.

وطلب إلى ربه أن ييسر له أمره.. وتيسير الله للعباد هو ضمان النجاح. وإلا فماذا يملك الإنسان بدون هذا التيسير؟ ماذا يملك وقواه محدودة وعلمه قاصر، والطريق طويل وشائك ومجهول؟!.

وطلب إلى ربه أن يحل عقدة لسانه فيفقهوا قوله.. وقد روي أنه كانت بلسانه حبسة، والأرجح أن هذا هو الذي عناه. ويؤيده ما ورد في سورة أخرى من قوله: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾(القصص:٣٤).

وقد دعا ربه في أول الأمر دعاء شاملاً بشرح الصدر وتيسير الأمر. ثم أخذ يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره وييسر له تمامه.

وطلب أن يعينه الله بمعين من أهله. هارون أخيه. فهو يعلم عنه فصاحة اللسان، وثبات الجنان، وهدوء الأعصاب...

لقد أطال موسى سؤله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير والاتصال الكثير. وربه يسمع له، وهو

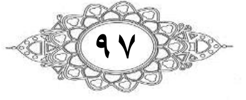
ضعيف في حضرته، ناداه وناجاه. فها هو ذا الكريم المنان لا يُخجِلُ ضيفه، ولا يرد سائله، ولا يبطي عليه بالإجابة الكاملة: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾ (طه:٣٦).

هكذا مرة واحدة، في كلمة واحدة. فيها إجمال يغني عن التفصيل. وفيها إنجاز لا وعد ولا تأجيل.. كل ما سألته أعطيته. أعطيته فعلاً. لا تُعطاه ولا ستعطاه؟ وفيها مع الإنجاز عطف وتكريم وإيناس بندائه باسمه "يَٰمُوسَىٰ" وأيّ تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد؟)(١)هـ.

ثم كلفه الله تعالى وأخاه هارون بالذهاب إلى"فرعون" الطاغية، وأمرهما أن يُلينا له في القول، لعل رحمة الله تعالى تدركه، ويعود عما هو فيه من الظلم والطغيان، ما أحلم الله بعباده؟ بين لهم عظمته سبحانه في مخلوقاته، الدالة على وحدانيته وتفرده بالأمر والنهي، والخلق والتدبير، وبعث فيهم رسلاً منهم، مبشرين ومنذرين، فخيره إليهم نازل، وشرهم إليك صاعد.

---

١ - في ظلال القرآن(١/ ٢٣٣٤).



لقد سبق في علم الله تعالى الأزلي أن فرعون لا يؤمن، ومع ذلك أمر عبديه ونبييه- موسى وهارون- عليهما السلام- أن يذهبا إليه ويترفقا به في الحوار والنقاش لعله يتذكر أو يخشى، كل ذلك من أجل أن يرسم طريقاً في الدعوة إلى الله تعالى لمن يأتي بعدهم،من إلانة في القول، وترفق بالآخر،والصبر على المعاناة في الطريق من القريب والبعيد، والصديق والعدو، والأخذ بالأسباب، وعدم اليأس أو القنوط، فإن القلوب علمها عند الله تعالى يصرفها ويقلبها كيف يشاء.

ويجب على من يدعو الناس إلى دين الله تعالى أن يحرص على هدايتهم، وإن لم يهتدوا، وأن يبلغهم دين الله تعالى برفق ولين، وأن يلجأ إلى الله تعالى بالذكر والتبسيح والدعاء، وأن يطلب من الله تعالى التوفيق والسداد.

وإن التعاون بين أفراد البشر على تبليغ دين الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور لهو أمر مطلوب، سواء كان ذلك وفق نشاط منهجي، أو ألا منهجي مادام أن النتيجة واحدة، والغاية واحدة، وإن شد الأزر في الطريق إلى الله تعالى، وتوزع الأدوار، والتعاون على القيام بها، لهي من الأسباب التي تجعل العمل

ناجحا، وتجعل النفوس وثابة إلى المعالي كلما حققت شيئاً من أهدافها وغاياتها.

وإن قصة موسى -عليه السلام- وطلبه من ربه سبحانه أن يشد أزره بأخيه هارون -عليه السلام- خير شاهد على ذلك.

١٥ - الموقف الثاني لفرعون وملئه من موسى -عليه السلام-.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾ (القصص:٣٦).

إن هذا الموقف يختلف عن الموقف الأول تماماً، من الضعف إلى القوة، ومن التخفي إلى الظهور، ومن المطاردة إلى المواجهة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الوحشة في الطريق إلى الأنس، ومن ضيق الصدر إلى الانشراح، ومن التلعثم إلى الفصاحة، ومن التردد إلى الانطلاقة.، يحمل موسى وهارون إلى "فرعون" المعجزات الباهرات، والدلا لات القاهرات، التي لو أُلقيت على الجبال الرواسي لخشعت وخضعت وانقادت، بل لصارت دكاء. لكن القلوب القاسية والمغلفة تنكر الحقائق، وتشكك فيها، بل تقف ضدها بغياً وعدواناً، وعناداً وجحوداً، بل أنكر "فرعون" الصانع

كما حكى الله ذلك عنه فقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الشعراء:٢٣).

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ (طه:٤٩).

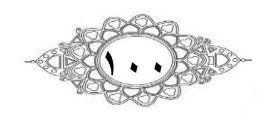
إنها صيغة استفهام إنكاري صادرة من "فرعون"

إن موسى وهارون أول ما بادرا" فرعون" في دعوتهما دعياه إلى الاعتراف بالصانع الخالق المالك المدبر لهذا الكون كله، كما قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الشعراء:١٦).

وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ (طه:٤٧).

ومن اعترف بذلك فقد اعترف بألوهية ذلك الصانع إلزاماً، وأنه صاحب الأمر والنهي، والأسماء والصفات الحسنى، الذي ليس كمثله شئ وهو السميع العليم.

لقد تلطف موسى وهارون في دعوتهما "فرعون" وذلك بتوجيه من الله تعالى لهما،لأن الهدف من دعوته هدايته، وإخراجه من الظلمات إلى النور.



قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ (طه:٤٢-٤٤).

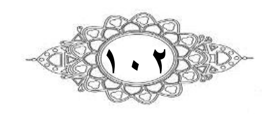
إن في هذا التوجيه سنة ربانية لمن يقوم بحمل المنهج الرباني ويدعو إليه، وهي أن يتلطف بمن يدعوه، ويبين له بالدلائل البينات،والبراهين الساطعات،ما يدعو إليه، لعله يتذكر أويخشى، فيخرج من الظلمات إلى النور، ومن الرق إلى الحرية، حرية العبودية لله تعالى، وإن الرفق واللين في بيان الحق والوصول إليه، أنفع وأوقع في النفس البشرية.

يقول ابن كثيررحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية[هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك،ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلاّ بالملاطفة واللين، وأن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٢٥﴾ (النحل:١٢٥).أ.هـ.

إنّ مواجهة أهل الباطل المتمكنين في الأرض" كفرعون" وغيره، لهو أمر صعب على النفس،خاصة وأن الله تعالى بين لهما أنه طغى، لأن الذي لا يستحي ممن خلقه ورزقه، وبيده محياه ومماته، فإنه من باب أولى لا يستحي من مخلوق مثله، فقد يبطش به، أو يسفّهه،أو يسجنه، أو يسلط عليه السفهاء، وإن هذه المواقف ما غابت عن" موسى وهارون"-عليهما السلام- فقد حكى الله عنهما ذلك فقال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ (طه:٤٥).

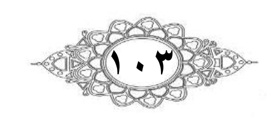
لكن من كان الله تعالى معه فلا يخاف ظلماً ولا بخساً، ولقد وجه الله تعالى عبديه الصالحين بعدة توجيهات في مواجهة "فرعون" الطاغية، وأخبرهما أنه-سبحانه- معهما يسمع ويرى، ومن تلك التوجيهات الربانية:

١-السرعة في تنفيذ حجج الله تعالى وبراهينه ومعجزاته. قال الله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾ (طه:٤٢). وفسر ابن عباس-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ذلك بقوله: لا تُبطئا. وبقوله: لا تضعفا. وأياً كان الشأن فالتوجيه لهما بالصمود أمام فرعون،



والمبادرة في بيان دلائل الحق والإعجاز، وعدم الفتور في عرضها وبيانها. والواجب على كل من عرف شيئاً من معالم هذا الدين أن يبادر إلى تنفيذها وإرشاد الناس إليها، وأن لا يصاب بالكسل أو الخور والجبن في تبليغها، مهما قُوبل في الطريق من الصعاب والعقبات، فهذه سنة الأنبياء، بتوجيه لهم من الله تعالى.

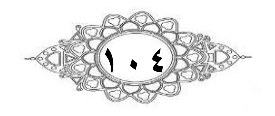
٢- اللين في القول. لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه:٤٤). إن الرفق في جميع الأمور ما كان في شئ إلا زانه، كما أن الغلظة والشدة ما كانت في شئ إلا شانته، وكما أن هذا التوجيه من الله لموسى وهارون- عليهما السلام- جاء أيضا لنبينا محمد-ﷺ- فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(آل عمران:١٥٩).



٣-وهذه سنة شرعية لمن يحملون المنهج الرباني ويبلغونه عباد الله، لأن الهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتعريفهم بخالقهم، والخضوع والتذلل له.

٤-عدم الخوف في القيام بالرسالة الربانية. إن من طبيعة النفس البشرية أن يعتريها شئ من الخوف، وهو على درجات متفاوتة، والذين يحملون المنهج الرباني يدركون تبعاته، وما يترتب على تبليغه ونشره،وموسى وهارون-عليهما السلام- وقع لهما شئ من الخوف من طاغية عصرهما "فرعون"،أن يبطش بهما، ويعتدي عليهما، لأول وهلة يلتقيان معه، لجهله من جانب، ولظلمه وطغيانه وجبروته من جانب آخر، والله ذكر ذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾(طه:**٤٥-٤٦**).

إن الله تعالى اختار من خلقه من يحمل رسالته،ويقوم بنشرها وتبليغها،وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل-عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم- وجاء في وصفهم في كتاب الله العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ



يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾(الأحزاب:٣٩).

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية:[يمدح تبارك وتعالى"الذين يبلغون رسالات الله" أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها،"ويخشونه" أي: يخافونه ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله. "وكفى بالله حسيباً" أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً.

وسيد الناس في هذا المقام- وفي كل مقام- محمد رسول الله -ﷺ- فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو-صلوات الله عليه- فإنه بُعِث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(الأعراف:١٥٨).

ثم ورَّثَ مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره،وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم].هـ

ما أجمل سيرة السلف الصالح من الأنبياء والرسل، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم، وكيف يخشى أو يخاف من كان الله تعالى معه بالنصر والتأييد، انقذ نوحاً وموسى ويونس من الغرق، وإبراهيم من النار، وعيسى ومحمد من القتل، وأهلك من عاداهم، ولم يستجب لهداهم، وأخذ كلاً بذنبه، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾(الفجر: ١٤).

١٦ - العاقبة الوخيمة لفرعون وملئه.

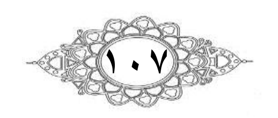
لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لكل مخلوق من خلقه بداية ونهاية،ولا يبقى إلاّ وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص:٨٨).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ (آل عمران:١٨٥)

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الانبياء:٣٥)

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (العنكبوت:٥٧)

ولقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه أحوال كثير من خلقه، أفراد ومجموعات، من الذين طغوا وتجبروا وتكبروا في الأرض بغير الحق،بل بغياً وعدواناً،كما جاء في وصف فرعون وجنوده، في قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا



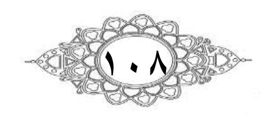
وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ (يونس: ٩٠)

وبين لنا -سبحانه- كيف أخذهم، وأنه-سبحان-أخذ كلاً بذنبه، فقال بعد أن ذكر الله تعالى نوحاً، وإبراهيم،ولوطاً، وشعيباً، وهوداً، وصالحا،وموسى- عليهم السلام - وقومهم.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وقد وعد الله تعالى عباده الصالحين بالنصر والفوز المبين، والغلبة والتمكين، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣).

ولقد بذل رسول الله موسى- عليه السلام- جهداً عظيماً مع فرعون وملئه، لكنهم أعرضوا عنه وتنكروا له،بل ضاقوا ذرعاً به وبدعوته، ووقفوا ضده، يحاورونه، ويجادلونه، ويناقشونه، ويشوهونه، ومع ذلك وقف نبي الله موسى-عليه السلام- وقوف



الجبال الرواسي على دينه،ولم يقصّر في تبليغ ما كلّف به من ربه، وترفق بفرعون وملئه في دعوته، وصبر على ما لاقى منهم في الطريق من المتاعب والمطاردة والمشاق والأذى، ووقفوا ضده مواقف مخزية، ومن تلك المواقف السيئة:

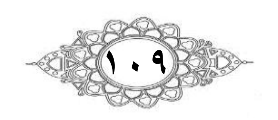
١- التكذيب بآيات الله تعالى،والاستكبار عنها.

قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ (آل عمران:١١).

وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ (الأنفال:٥٢)

وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (لأنفال:٥٤)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (يونس:٧٥).



وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾(المؤمنون:٤٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(القصص:٤)

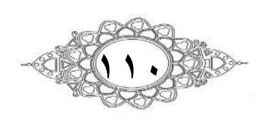
وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾(غافر:٣٦-٣٧)

وقال تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الدخان:٣١)

٢- وصمهم لموسى -عليه السلام- بأنه ساحر.ومسحور. وأن ما جاء به سحر.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾(الأعراف:١٠٩)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ (غافر:٢٣-٢٤).



وقال تعالى: وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍۭ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ (الاسراء:١٠١)

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾(يونس:٧٦)

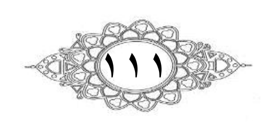
٣- اتهموا موسى وقومه بالفساد في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾(الأعراف:١٢٧).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ (يونس:٧٩)

٤- قتلهم لأبناء بني اسرائيل، واستحياء نسائهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ (الأعراف:١٤١)



وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ (ابراهيم:٦)

٥- الإنكار لربوبيّة ربِّ الأرباب.

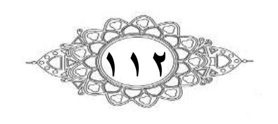
قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ (الشعراء:**٢٣**)

٦- العزم على قتل موسى والتخلص منه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ (القصص:**٩**)

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦﴾ (غافر:**٢٦**)

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم



بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ (غافر:٢٨)

٧- ادعاء فرعون الربوبيّة.

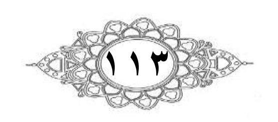
قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ (القصص:٣٨)

٨- ادعاؤه الكمال في الرأي والدلالة.

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ (غافر:٢٩).

إلى غير ذلك من المواقف المشينة من فرعون وقومه، في حق الله تعالى وأنبيائه ورسله.

وقد أخذ الله تعالى فرعون وقومه أخذ عزيز مقتدر، و بيّن الله لنا في كتابه،أنه طغى،فأخذه الله تعالى بالغرق ليكون عبرة لمن خلفه.



فقال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (طه:٢٤)

وقال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ (طه:٤٣)

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (البقرة:٥٠)

وقال تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾﴾ (طه:٧٨)

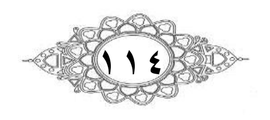
وقال تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ (آل عمران:١١)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأعراف:١٠٣)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ (الأعراف:١٣٠)

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ (الأنفال:٥٢)

وقال تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ



رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (الأنفال:٥٤)

ومن العاقبة السيئة لفرعون وجنوده، أنهم يعرضون على النار غدواً وعشياً، ويوم القيامة يذقون أشد العذاب.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ (غافر:٤٦)

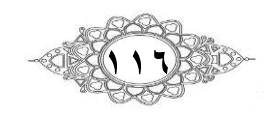
ولم يقع ما حلَّ بهم إلاّ بعد ما أنذروا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ (القمر:٤١)

١٧ - الدروس والعبر المستفادة.

*- إن عَرضَ سير الأنبياء والمرسلين- الذين اختارهم الله - تعالى-، واصطفاهم من خلقه-، على الأسماع لهو أمر مهم، ومطلوب، فهم القدوة الطيبة التي حملت المنهج الرباني، وطبقته في أنفسهم، ثم دعوا البشر إلى اعتناقه وتطبيقه، ولا قوا في سبيل ذلك من المتاعب والمشاق ما الله به عليم، ومع ذلك حفظهم الله تعالى، ومكنهم في الأرض، وصرف عنهم كيد عدوهم، وفي معرفة سيرهم خير زاد في الطريق إلى الله تعالى.

*- إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى،ما دامت السماوات والأرض، لا يزول هذا الصراع إلاّ بزوال هذا الكون. وما وقع بين موسى-عليه السلام- وفرعون وملئه من هذا الباب.

*- إن الله تعالى أخبر أن التمكين في الأرض سيكون لموسى وملئه، وأن الدائرة السيئة ستكون على فرعون وملئه. قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ



أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝﴾ (القصص: ٥-٦).

*- إنّ طريقة القرأن في عرض المشاهد أو الأحداث، يجمل ولايفصل ، ولكن هذا الإجمال يرى فيه الناظر كأنما شاهد القصة أوالحدث- كاملة أومتكاملة،وهذا من بلاغة القرأن الكريم وإعجازه، وهذا يؤخذ من قصة أخت موسى من الحدث حيث تجلى ذلك في عدة محاور:

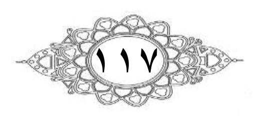
الأ ول : الأ م وابنتها ومادار بينهما في شأن موسى – عليه السلام –.

الثاني : الدور الذي قامت به أخت موسى .

الثالث: الحوار الذي دار بين أخت موسى وآل فرعون .

الرابع : رجوعها إلى أمها بالبشارة العظيمة برجوع موسى – عليه السلام – إليهن .

*- إن الله سبحانه خلق الجن والإنس لعبادته وحده دون من سواه، وهداهم النجدين، وأوضح لهم الطريقين بواسطة رسله



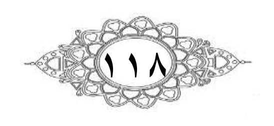
الكرام، وقد بلغوا الناس ماأنزل إليهم، وأول تكليف طلبوه منهم عبادة الله وحده، وعدم الاشراك به.

❊- جعل سبحانه من سنته ابتلاء الناس بعضهم ببعض. كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ الآية (محمد:٤)

كما جعل من سنته التدافع فيما بينهم. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ (البقرة:٢٥١).

❊- إن من عدل الله وفضله ومنته أنه حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً. قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ (الكهف:٤٩). وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت:٤٦)

وفي الحديث القدسي الصحيح:" ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"رواه مسلم. وقد ظلم فرعون وقومه نبي الله موسى وقومه، والمظلوم هو المنتصر في النهاية. سواء في الحياة الدنيا، أو الآخرة.



*- إنّ بعض خلق الله كتبت عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة، فيشقى به من كان تحت ولا يته، أو حوله، ومن أولئك "فرعون المثبور"ذلك الرجل الطاغية، الذي ادعى الربوبية، كما حكى الله عنه ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ (النازعات:٢٤)

ووصفه الله بالطغيان وكثرة الفساد في الأرض،قال تعالى: ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ (الفجر:١٠-١٤)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾ (القصص:٤)

*- إنّ من أعظم فساد فرعون ادعاؤه الربوبية والألوهية، ثم ذبحه لأبناء بني إسرائيل خوفاً على ملكه ونفسه منهم. ولو استسلم لله تعالى واستجاب لسعد في الدارين، ولكن لله تعالى الحكمة البالغة.

*- إن المخاوف البحرية أيّاً كانت سواء كانت أمواجاً، أو غرقاً، أو حيوانات من حيوانات البحر، أوظلمات، أو غير ذلك مما

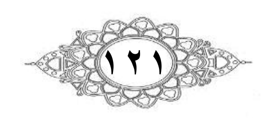
يتصوره الإنسان على مثل ذلك الرضيع الصغير الضعيف أو غيره، ترجع أمناً وطمأنينة وهدوءاً وسكينة بتدبير الله تعالى لها، فهو الخالق المصرف الذي بيده ملكوت كل شئ، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

*- إن بيوت الجبابرة قد يوجد فيها الاختراق،إمّا من داخلها أومن خارجها، وإذا قوي التوكل على الله لدى الإنسان قويت عزيمته،وإذا أخذ بالأسباب الشرعية في الوصول إلى الأهداف فإن الله تعالى يسهل له الطريق ويلين له القلوب ويجعل الله له مع العسر يسراً، انظر إلى ما هيأه الله لهذا الرضيع وهو في المهد، لا يعرف توكلاً، وليس له عزيمة ولا قدرة، ولا يعرف وسيلة ولا هدفاً ولا غايةً، وهو في قبضة من يريد ذبحه والتخلص منه، وليس لديه أيّ تردد في ذلك وهو داخل داره وبين جنوده وغلمانه، ومع ذلك هيأ الله له من يعطف عليه ويدافع عنه، ويجادل فرعون في أمره وهو لا يشعر بذلك، فأصبح عدواً وحزناً لفرعون في داخل داره، ومع ذلك صرف الله عنه بطش فرعون وظلمه وطغيانه، ومع إصرار زوجة فرعون ودفاعها عن الاعتداء على ذلك الطفل، استجاب فرعون لها، مع تخوفه منه وكرهه لذلك، واستنفرت

خدمها للعناية بموسى- عليه السلام- فكلّفتهم البحث عن المرضعات لكي يقمن بإرضاعه وإطعامه، فحضرن وحاولن أن يرضعنه، لكنه امتنع عن ذلك، فلم يلقم ثديا على الإطلاق، لأن الله تعالى حرّم ذلك عليه لحكمة يريدها سبحانه.

❋- إن من يرتكب خطيئة- مهما كانت-فإنه يصبح ضعيف الموقف،خائف النفس، وهذا يؤخذ من موقف موسى-عليه السلام- لما اقترف تلك الخطيئة،- وهي قتل القبطي- فأصبح خائفاً من أن ينكشف أمره لأولئك القوم الذين يتربصون به وهو في المهد، فكم حاولوا قتله، والتخلص منه، فكيف وقد وقع منه ما يسئ إليهم. فعلى العاقل أن يصون نفسه من الوقوع في الزلات، حتى يكون عزيز الجانب،مطمئن النفس، وإن ظلم،كما حصل لنبي الله يوسف- عليه السلام-.

❋- إن الله سبحانه إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، وإن الله سبحانه قادر على إيجاد ذلك الشئ من دون أسباب، ولقد سبق في علم الله تعالى الأزلي أن عبده موسى عليه السلام سيكون من المرسلين. كما سبق في علمه تعالى أنه سيقع في أيدي أعدائه وهو طفل رضيع ليكون لهم عدواً وحزناً. فهيأ الله تعالى لعبده الضعيف من يحفظه



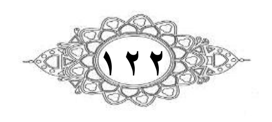
ويكفله، ويرعاه من داخل بيوت أعدائه، وهم لايشعرون ماذا تكون العاقبة.

❋- إن الإنسان مهما ارتكب من الذنوب والخطايا فإن أبواب الله مفتوحة بالليل والنهار، فلا يقنط الإنسان ولاييأس من عفو الله ورحمته ومغفرته، وإن أعظم ذنب عصي الله به هو الشرك.

فعلى كل من وقع في خطيئة سواء كانت كبيرة أو صغيرة أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره ويتوب إليه ويندم على ذلك، ويخلص في توجهه إلى الله ولا يعود إلى ذلك .

❋- ليعلم ورثة الأنبياء أن الطريق الصحيح هو طريق الأنبياء فليصبروا وليحتسبوا على ما يلاقون في طريقهم وليدعوا ربهم أن يهديهم السبيل المستقيم وأن ينجيهم من كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين، ومكر الماكرين ، أسوة بالأنبياء في ذلك ، ولا يستعجلوا الطريق ، فإن النصر بيد الله تعالى، ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (آل عمران:١٢٦).

❋- إن الرجل المصلح في هذه الحياة قد يجد معاناة في داخل النفس، ومعاناة في الطريق، ومعاناة من قلة الزاد، وأنيس الطريق،

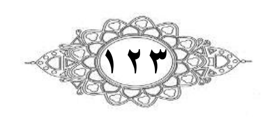


ومعاناة ممن سيلقاهم أمامه، كيف يأوي إليهم، وكيف يقص خبره عليهم، وكيف يستقبلونه؟.

لكن الرجل المؤمن بالله، والواثق بنصره، والمتوكل عليه حق التوكل، يلجأ إليه ويعتصم به ويتضرع إليه، فهو الخالق الرازق وهو المحيي والمميت، وهو النافع وبيده مقاليد الأمور، لا راد لما قضى، ولا مانع لما أعطى، ولا مذل لمن أعز ، ولا معز لمن أذل.

لقد لجأ موسى -عليه السلام- بجلال الله وعظمته فدعاه وحماه وهيأ له من الأسباب وطرق الخير الشئ الكثير.

*- إن من طبيعة المرأة الخجل والحياء، والضعف وعدم القدرة على مزاحمة الرجال، وهذا يؤخذ من حال تلك المرأتين اللتين تذودان غنمهما عن ذلك المجتمع،فلا يزاحمان القوم في السقي، وتنتظران صدورهم حتى تتمكنا من السقي بدون مزاحمة ولا مشادة، فالمرأة العاقلة تقدر وتحترم نفسها ومن وراءها،فكيف إذا كانت من بيت عز ومكانة، فإن مزاحمة المرأة للناس في منتدياتهم وفي قضاء حوائجهم ليس من طبيعتها، بل إذا حصل منها شئ من ذلك فإنه سلوك مشين وخارج عن طبيعتها التي خلقها الله عليها .



❊- إن الإنسان مهما أعطي من قوة في جسمه، وفي عقله، وفي جميع جوارح، فهي من الله تعالى، فعليه أن يلجأ إلى من حباه تلك القوة فيعترف بالتقصير والفقر، وأن لا ملجأ من الله إلا إليه . وهذا يؤخذ من موقف موسى-عليه السلام- بعد ما سقى للمرأتين. قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ (القصص:٢٤)، مفوضاً أمره إلى الله ومتوكلاً عليه ، ومعترفاً بضعفه وفقره أمام ربه وخالقه .

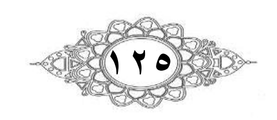
❊- إنّ إعانة الضعيف ومساعدته في قضاء حاجته لهو خلق عظيم، حثّ عليه الدين الحنيف، وإن نبي الله موسى-عليه السلام- بادر إلى فعل الخيرات ، وساعد المحتاج ، وأعان الضعيف على قضاء حاجته

وهكذا يجب على الذين يقتدون برسل الله الكرام-عليهم الصلاة والسلام- وينتهجون نهجهم، ويسيرون على طريقهم غير عابئين بالعوائق والعقبات التي يلاقونها في طريقهم إلى الله تعالى .

*- إن القوة، والأمانة، قلما تتوفر في شخص،وقد وصف بهما موسى -عليه السلام- في قول تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾(القصص:٢٦).

*- إن المرأة لها أن تبدي رأيها، وتسعى في تحقيقه، وهذا يؤخذ من موقف ابنة ذلك الشيخ الكبير التي قصت على أبيها خبر موسى فأمرها أبوها أن تدعوه، فذهبت إليه، في خطى حثيثة، وأدب جم، وستر كامل، ولسان طلق، وعزيمة قوية، لتبلغه دعوة أبيها، ولما وصلت إليه أبلغته الدعوة في أدب رفيع، ومنطق سليم، وأخبرته أن والدها يريد أن يجازيك ويحسن إليك مقابل ما قدمت لنا من الخدمة في السقي. قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾(القصص:٢٥).

*- إن من مواقف الرجال الكبار،وحسن أخلاقهم، كرم الضيافة،، وحسن الاستقبال، وحماية الضيف،واحترام والجار، ونصرة الضعيف، والمظلوم، والوقوف ضد الباطل وأهله، وهذا



يؤخذ من موقف ذلك الشيخ الكبير عندما عرض عليه موسى -عليه السلام- أمره وحاله، فقال مسريا عن موسى، ومطمئناً وناصراً له، قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾(القصص:٢٥).

❋- إنّ النفس الأبيّة لاترضى أن تعيش على فتات العيش وموائد الآخرين، بل لابد أن تبحث عن وسيلة تكدح من خلالها، وتشعر بالعزة والاستعلاء بعيداً عن المسألة والاستجداء، وهذا ما وقع لموسى -عليه السلام- حيث عاش مع الشيخ الكبير عيشة عمل وكدح يرعى له الغنم مقابل تزويجه إحدى ابنتيه، واتفقا على مدة العقد اللازم والكامل برضا واختيار.

❋- إن الوفاء بالعقود والإلتزام بها من الإسلام، ولا يجوز الإخلال بها، أو نقضها، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾الآية (المائدة:١) ونبي الله موسى-عليه السلام- وفّى بما التزم به مع ذلك الشيخ الصالح،وأنه أدى أكمل الأجلين.

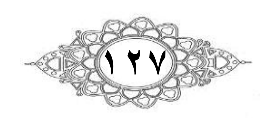
❋- إن من سنن الله تعالى في خلقه حنين الإنسان إلى وطنه، مهما كان في ذلك الوطن من العنت والشقاء، وإن نبي الله موسى



-عليه السلام- لمّا غادر وطنه بغير رضاً منه أو اختيار، وغاب عنه سنين عديدة، بسبب جور الظالمين عليه، أعد عدته، وعاد إلى وطنه، بعد ما قضى ذلك الأجل الذي تمّ بينه وبين ذلك الشيخ الكبير، والذي يقدر بعشر سنوات. فعلى كل مغترب أن يفكر في العودة إلى أهله وبلاده، لكي يقوم بما يستطيع عليه من الاصلاح، بين أهله وذويه،إقتداء بنبي الله موسى-عليه السلام- فإنه لما قضى أكمل الأجلين وأتمهما ودع مضيفه هو وأهله ليعود إلى أهله وبلاده التي غادرها منذ زمن بعيد.

❋- إن الإبتلاءات التي قد تحصل للإنسان في الطريق قد تكون هي سبيل التمكين في الواقع، وإن ما حصل لموسى -عليه السلام- في طريقه وهو في رحلته الأولى، وفي رعيه للغنم، هو نوع من الابتلاء،كما أن ما حصل له في طريقه وهو عائد إلى أهله ووطنه من المواقف والمشاهد العظيمة هو نوع من الابتلاء أيضا، وإن كان هناك فرق بين الابتلائين، وتلك الابتلاءات لعلها كانت هي سبيل التمكين.

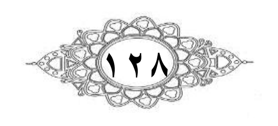
❋- إن التكاليف الربانية ليست بالشئ اليسير، إنها تكاليف عظيمة وكبيرة وثقيلة، تحتاج إلى رجال أقوياء في حملها، وفي تبليغها



إلى الآخرين، وتحتاج إلى صبر ويقين، وتوكل على الله، وهمّة عالية، وموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من أؤلئك الرجال العظماء، فقد صنعه الله تعالى على عينه، وغذاه ورباه ومحّصه حتى بلغ أشده، واستوى على سوقه، فكلّفه وأرسله،بعد أن أعطاه الله تعالى الحكم والعلم، فقام بما كلّف به خير قيام.

*- لقد سبق في علم الله تعالى الأزلي أن فرعون لا يؤمن، ومع ذلك أمر عبديه ونبييه- موسى وهارون- عليهما السلام- أن يذهبا إليه ويترفقا به في الحوار والنقاش لعله يتذكر أو يخشى، كل ذلك من أجل أن يرسم طريقاً في الدعوة إلى الله تعالى لمن يأتي بعدهم،من إلانة في القول، وترفق بالآخر،والصبر على المعاناة في الطريق من القريب والبعيد، والصديق والعدو، والأخذ بالأسباب، وعدم اليأس أو القنوط، فإن القلوب علمها عند الله تعالى يصرفها ويقلبها كيف يشاء.

*- يجب على من يدعو الناس إلى دين الله تعالى أن يحرص على هدايتهم، وإن لم يهتدوا، وأن يبلغهم دين الله تعالى برفق ولين،كما مرّ في قصة موسى وهارون مع فرعون، وأن يلجأ إلى الله

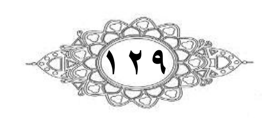


تعالى بالذكر والتبسيح والدعاء، وأن يطلب من الله تعالى التوفيق والسداد.

❋- إن التعاون بين أفراد البشر على تبليغ دين الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور لهو أمر مطلوب، سواء كان ذلك وفق نشاط منهجي، أو ألا منهجي مادام أن النتيجة واحدة، والغاية واحدة، وإن شد الأزر في الطريق إلى الله تعالى، وتوزع الأدوار، والتعاون على القيام بها، لهي من الأسباب التي تجعل العمل ناجحا، وتجعل النفوس وثابة إلى المعالي كلما حققت شيئاً من أهدافها وغاياتها.

وإن قصة موسى-عليه السلام- وطلبه من ربه سبحانه أن يشد أزره بأخيه هارون -عليه السلام- خير شاهد على ذلك.

❋- إن الله تعالى اختار من خلقه من يحمل رسالته،ويقوم بنشرها وتبليغها،وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل-عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم- وجاء في وصفهم في كتاب الله العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾(الأحزاب:٣٩).



يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:[وسيد الناس في هذا المقام- وفي كل مقام- محمد رسول الله-ﷺ- فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو-صلوات الله عليه- فإنه بُعِث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٨).

ثم ورَّثَ مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره،وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم].هـ

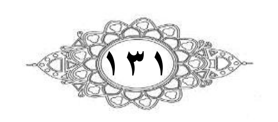
*- إن الله تعالى ليمهل للظالم ولا يهمله، ثم يأخذه بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، وهذا ما حصل لفرعون وغيره من الأمم الظالمة، وقد أخبرنا ربنا سبحانه بذلك في كتابه، ولا يظلم ربك أحداً. فقال

تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (العنكبوت: ٤٠).

*- إن الحق قد ينتصر بجود الضعفاء قبل جود الأقوياء، فلا يحقرن الإنسان أيّ جهد يقوم به، فإن مؤمن آل فرعون، وأخت موسى، وأمه، وآسية، كانوا ضعفاء، ومع ذلك قاموا بأدوار عظام في نصرة الحق.

*- إن الله تعالى وعد عباده الصالحين بالنصر والفوز المبين، والغلبة والتمكين، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣).

فلا يتعجل الصالحون طريقهم،أو تمل نفوسهم، ولا يستوحشوا من قلة الناصرين،أو السالكين، فإن الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-بدءوا طريقهم فرادى،فما وهنوا لما أصابهم، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا



﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأعراف: ١٠٣) فما ضعفوا وما استكانوا، ولنا فيهم الإقتداء والإتساء، والله تعالى ولي الصالحين.

كتبه وحرره الراجي عفو ربه.

د/ أحمد بن عبدالله العماري الزهراني

غفر الله له ولوالديه،ولسائر المسلمين. آمين.

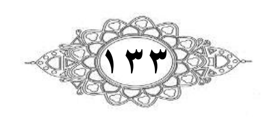
(الآيات التي ورد فيها ذكر لموسى - عليه السلام - مع فرعون).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأعراف: ١٠٣)

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ (الأعراف: ١٠٤)

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ (الأعراف: ١٢٧)

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (يونس: ٧٥)



فهرس المواضيع